# محاورة سيمبوزيوم ـ أو المائدة

## أشخاص المحاورة

أبولودوروس، الذي يكرّر المحاورة التي سمعها من أريستوديموس، والتي قصّها مرة لغلوكون قبل الآن، يكررها لرفاقه.

| | |
|---|---|
| فيذروس | سقراط |
| ألسيبيادس | بوسانياس |
| أريكسيماخوس | أريسطوفان |
| أغاثون | وجماعة من المستمعين |

المشهد: بيت أغاثون.

أبولودوروس: فيما يتعلق بخصوص الأشياء التي سألت كي تتلقّى جواباً بشأنها، أعتقد بأنّني لست مهيّأً بشكل سيّىء للإجابة عليها لأنّني أتيت أول من أمسِ من بيتي في فاليروم إلى المدينة دعاني أحد معارفي الشخصيين الذي رآني من خلفِ، دعاني من مسافة مداعباً قائلاً: أيها الرجل الفاليروميّ، باسم أبولودوروس، توقّف! فعلت كما أُمِرت؛ فقال، إنّني كنت أبحث عنك، يا أبولودوروس، لتوّي الآن فقط، وذلك لأسألك بخصوص الأحاديث في الثناء على الحبّ التي ألقاها سقراط، ألسيبيادس والآخرون خلال العشاء الذي أقامه أغاثون. أَخبر فوينكس، بن فيليب، شخصاً آخر وهو الذي أعلمني بها. إنّ سرده لهذه الأحاديث كان سرداً غير واضح، لكنّه قال بأنّك عرفتها، وأرغب منك بالتالي أن تعطيني تفسيراً لها. ومَنْ إذا لم تكن أنت، من سيكون مُخبِر كلمات صديقك. قل لي أولاً، هل حضرت هذا الاجتماع؟

أبولودوروس: إنّ الذي أخبرك ذلك، يا غلوكون، لا شكّ أنّه قد كان غامضاً جدّاً حقّاً، إذا تصوّرت أنت أنّ المناسبة كانت مناسبة حديثة العهد؛ أو أنّه قد كان باستطاعتي الحضور خلال اللّقاء.

غلوكون: لماذا، نعم، إنّني افتكرت ذلك.

أبولودوروس: مستحيل؛ هل أنت جاهل بأنّ أغاثون لم يسكن في مدينة أثينا منذ عدّة سنين؛ وأنّه لم يمضِ سوى أقلّ من سنوات ثلاث وأصبحتُ بعدها ملمّاً بسقراط، وجعَلتُ من كلّ ما يقوله وما يفعله شغلي اليوميّ. مضى زمن طفت أثناءَه حول العالم، متوهّماً أنّني موظف جيّد، لكنّني كنت المخلوق الأكثر بؤساً في الحقيقة، ليس بأفضل ممّا أنت عليه الآن. ظننتُ أنّي يجب أن أفعل أيّ شيء غيرَ أن أكون فيلسوفاً.

غلوكون: حسناً، أخبرني متى حدث الاجتماع، بعيداً عن الهزء.

أبولودوروس: حدث في زمن صباي، عندما فاز أغاثون بالجائزة عن قصيدته الأولى التي نظمها في المأساة، في اليوم الذي تلا ذلك حينما قدَّم هو وجوقته أضّحية النصر.

غلوكون: لا شك إذن أنّها قد كانت لزمن طويل مضى، ومَنْ أخبرك ذلك؟ هل فعل سقراط هذا؟

أبولودوروس: لا حقاً، بل إنّه الشخص نفسه الذي أخبر فوينكس؛ ـ كان هو شخصاً صغيراً، لم يلبس أيّ حذاء قطّ، إنّه أريستوديموس، من مقاطعة سيّد أثينايوم. لقد حضر وليمة أغاثون؛ وأعتقد أنّه لم يكن في تلك الأيام شخص كان أكثر المعجبين المخلصين لسقراط منه. علاوة على ذلك، فإنّني سألت سقراط عن حقيقة بعض أجزاء قصّته، فصادق عليها. عندئذ، قال غلوكون: دعنا نروي القصّة مرّة ثانية؛ ألم تُهيّأ الطريق إلى أثينا لتوّها بالمحادثة؟ وهكذا مشينا، وتحادثنا عن مقالة في الحبّ. ولهذا السبب، كما قلت في البدء،

إنّني لست مجهّزاً بشكل سيِّيءٍ كي أستجيب لالتماسك، وإذا أردت سرداً آخر للمقالة، فإنّه سيكون ملكاً لك. إذ إنّ الكلام عن الفلسفة أو سماع الآخرين يتحادثون عنها وفيها يعطيني اللذّة الأكبر على الدوام، ولا تقلّ شيئاً عن الربح. لكنّني عندما أسمع ضرباً آخر من ضروب الحديث، خاصة الذي يدور حولكم يا رجال الأعمال الأغنياء فإنّ محادثة كهذه تثير استيائي؛ وإنّي أتشفّق عليكم وأرثي حالكم، يا رفاقي، لأنّكم تعتقدون بأنّكم فاعلون شيئاً ما عندما لا تكونون مؤدّين أيّ شيء في الحقيقة. وأجرؤ على القول بأنّكم ترثون لحالي بالمقابل، أنتم الذين تعتبرونني مخلوقاً غير سعيد، ومن المحتمل أن تكونوا محقّين تماماً في ذلك. لكنّني أعرف بدون ريب ما تظنّونه بي فقط ـ هذا هو الفرق.

رفيق: إنّني أرى، يا أبولودوروس، أنّك أنت الشيء نفسه تماماً ـ تتكلّم شرّاً عن نفسك، وعن الآخرين؛ وإنّي لأعتقد بأنّك تتصوّر أنّ كلّ الجنس البشريّ غير سعيد، ما عدا سقراط، وأنت أوّل الجميع. لا أستطيع أن أتصوّر كيف اكتسبت الإسم أبولودوروس اللّطيف المعتدل؛ لأنّك أنت الشيء نفسه على الدوام، ثائراً ضدّ نفسك وضدّ الآخرين عدا سقراط.

أبولودوروس: نعم، يا صديق، وبما أنّني أمتلك هذه الأفكار عن نفسي وعنكم، فلا حاجة بي أن أبرهن أنني فاقد صوابي ومجنون.

رفيق: نحن لسنا بحاجة للخصام، يا أبولودوروس؛ لكن دعني أجدّد التماسي إليك كي تعيد سرد المحادثة.

أبولودوروس: حسناً، إنّ قصّة الحبّ كانت على هذا النحو ـ لكن لربّما كان من الأفضل أن ابتدىء من الأول، وأجهد كي أعطيك الكلمات الدقيقة التي تفوّه بها أريستوديموس. قال إنّه قابل سقراط بعد أن استحمّ ولبس خفّيه؛ وبما أنّ منظر الخُفّ كان منظراً غير اعتيادي، سأله إذا ما كان ذاهباً لمكان ما، ذلك أنه قد تحوّل إلى رجل أنيق.

أجاب سقراط: إنّني ذاهب إلى مأدبة أغاثون الذي رفضت دعوته لي البارحة إلى تضحيته بيوم النصر، لخوفي الجمع الغفير من الناس، لكنّني وعدته بأنّي سوف آتي اليوم بدلاً من البارحة؛ وهكذا فإنّي تدثّرت بملابسي الفاخرة، لأنه رجل وسيم وأنيق . فماذا تقول أنت في الذهاب معي بدون دعوة؟

أريستوديموس: سأفعل كما تأمرني.

سقراط: إتبعني إذن، ودعنا نقوّض المثل القائل:

إلى ولائم الرجال الأقلّ أهميّة الأخيار يذهبون غير مدعوّين؛

بدلاً من مثلنا السائر الذي يجري:

إلى ولائم الأخيار، الأخيار يذهبون غير مدعوّين؛ ويلزم أن يُدعَمَ هذا التغيير بسلطة هوميروس نفسه الذي لا يقوّض المثل فقط بل يعتدي عليه اعتداءً صارخاً حرفيّاً، لأنّه بعد أن يصوّر أغاميمنون وكأنه أكثر الرجال بسالة، يجعل مينيلوس، الذي هو « محاربٌ واهن العزيمة » يأتي غير مدعوٍّ إلى وليمة أغاميمنون الذي يولِمُ ويقدم الأضاحي، ولا يعني هذا أنّ الأفضل يذهب إلى الاردأ، بل على العكس من ذلك.

اريستوديموس: أخشى بالأحرى، يا سقراط، ألاّ تكون هذه هي حالتي؛ وأن أكون مثل مينيلوس في عمل هوميروس، حينئذ سأكون الشخص الأدنى مستوىً، الذي إلى ولائم العقلاء يذهب غير مدعوٍّ.

لكنّني سوف أقول إنّك دعوتني؛ وهكذا يكون عذرك جاهزاً، إثنان ذاهبان معاً. أجابني هو في نمطٍ هوميريٍّ، سيخترع واحدنا أو الآخر عذراً بالمناسبة.

تعال: دعنا نبدأ المسير.

عندما سارا بعد محادثة من هذا النوع، تأخّر سقراط في مناسبة ذهول، ورغب أريستوديموس، الذي كان منتظراً، رغب أن يذهب للبحث عنه. وعندما وصل إلى بيت أغاثون وجد الأبواب مفتوحة على مصراعيها،

وحدث شيء مضحك. قابله الخادم الذي خرج وقاده حالاً إلى حجرة الطعام التي كان الضيوف فيها، لأنّ المأدبة كانت على وشك أن تبدأ. قال أغاثون، أهلاً وسهلاً، يا أريستوديموس، إنّك وصلت في الوقت المناسب كي تتناول معنا طعام العشاء. إذا أتيت من أجل قضيّة أخرى دعها وشأنها، واعتبر نفسك واحداً منّا. فقد بحثت عنك نهار البارحة وقصدت أن أدعوك للعشاء، إذا ما استطعت أن أجدك، لكن ماذا فعلت بسقراط؟

استدرت دائريّاً، لكنّي لم أشاهد سقراط؛ وكان عليّ أنّ أوضح أنّه قد كان معي للحظةٍ مضت، وأنّني أتيت إلى العشاء بناءً لدعوته.

أغاثون: كنت أنت محقّاً في قدومك؛ لكن أين هو سقراط نفسه؟

اريستوديموس: إنّه كان خلفي لتوّه الآن، عندما دخلت، وأنا لا أقدر أن أخمّن ماذا حدث له.

أغاثون: إذهب وابحث عنه، يا صبيّ، واحضره إلى هنا، وأنت، يا أريستوديموس، خذ المكان بجوار أريكسيماخوس.

[ ساعده الخادم عندئذ ليغسل يديه ووجهه، ثم تمدّد على الأريكة، ودخل خادم آخر في الحال وقدّم تقريراً بأنّ صديقنا سقراط اعتزل في الرواق المعمّد في البيت المجاور ]. قال: « هناك تسمّر سقراط » وعندما أناديه فهو لن يبدي حراكاً ».

أغاثون: ما أغرب هذا منه، إذاً يجب أن تدعوه مرّة ثانية، وأن تلح على فعل ذلك.

قال مخبري؛ دعه وشأنه، إنّ لديه طريقة للإنطلاق بنفسه، وكذلك للوقوف بثبات في أيّ مكان يحدث أن يكون فيه. أعتقد بأنّه سيظهر قريباً؛ لذلك لا تزعجه.

أغاثون: حسناً، إذا اعتقدت هكذا، فإنّني سأدعه وشأنه. وأضاف بعد أن استدار

إلى الخدم « دعنا نتناول طعام عشائنا بدون أن ننتظره. قدّموا ما تريدون، إذ ليس هناك أيّ شخص يأمركم، وحتّى الآن لن أترككم لوحدكم قطّ. لكن تصوّروا أنّكم أنتم أصحاب الدعوة بهذه المناسبة، وأنّني والجماعة ضيوفكم؛ عاملونا جيّداً، وبعدئذ فنحن سوف نأمركم ». قُدِّم العشاء بعد هذا، لكنّنا بقينا بدون سقراط؛ وعبَّر أغاثون أثناء الطّعام عن رغبته ليرسل شخصاً في طلبه مرّات عديدة، لكن أريستوديموس عارض ذلك؛ وأخيراً بعد أن كان وقت الوليمة على وشك أن ينتهي - لأنّ المناسبة، لم تكن لمدة طويلة، كالمعتاد - دخل سقراط. توسّل إليه أغاثون، الذي كان متّكئاً وحده عند نهاية الطاولة، توسّل إليه أن يجلس بالقرب منه؛ ذلك، « كي أتمكّن من أن أَلمُسَكَ » وأستفيد من تلك الأفكار الحكيمة التي أتت إلى عقلك عندما كنت لوحدك في الرواق المعمّد، «لأنّني متأكّد من أنّك لم تغادر ذلك المكان إلا بعدما وجدت ما كنت تنشده».

سقراط: كم أرغب أخذ هذا المكان بقربه، كما تمنّى، وإن أمكن لتلك الحكمة أن تنتقل باللّمس، من الرجل الأكثر امتلاءً إلى الرجل الأكثر خلوّاً منها؛ كما يجري الماء من خلال الصوف خارج الكوب الأكثر امتلاءً إلى الآخر الأكثر خلواً؛ وإن كان ذلك هكذا، فكم سيكون الإستلقاء بجانبك امتيازاً كبيراً، له تقديري! لأنّك سوف تملأني بدفقٍ من الحكمة وافرٍ وصافٍ؛ في حين أنّ الذي يخصّني هو من نوع عاديٍّ ومشكوكٍ فيه، وليس بأفضل من الحلم. لكنّ الذي يخصّك هو ساطع وممتلىء وعداً، وظهر ذلك جلياً في كلّ سناءٍ وروعةِ شبابك يوم أول من أمس، في حضور أكثر من ثلاثين ألف هيليني.

اغاثون: إنّك لمتهكّم، يا سقراط، وقبل أن تقرّر أنت وأنا بوقت طويل مَنْ سيحمل غصن الغار للحكمة - سيكون ديونيسوس الحكم. لكن الآن من الأفضل لك أن تشغل نفسك بالعشاء.

[ أخذ سقراط مكانه على الأريكة، وشرب مع الباقين؛ وحينئذ سُكِبت السوائل على الأرض، وبعد أن قُدِّمت ترتيلة إلى الإله، وأقيمت الاحتفالات المعتادة، كانوا على وشك أن يبتدئوا بالشراب ]، عندما قال بوسانياس: وبعدُ، يا أصدقائي، كيف نستطيع أن نشرب بأقلّ أذىً لأنفسنا؟ إن بوسعي أن أؤكد لك أنّي ما زلت أشعر بتأثير ما شربته نهار البارحة إفرادياً، ويلزمني وقت كي أستعيد وضعي الطبيعي؛ وأعتقد بأنّ أكثركم يعاني المأزق عينه لأنّكم كنتم في الحفلة حينها. إعتبر إذن: كيف يمكن أن يدار الشراب بالطريقة الأسهل؟

أريسطوفان: إنّني أوافق كليّة، يجب علينا، مهما كلّف الأمر، أن نتفادى الشراب الثقيل، لأنّني كنت واحداً من أولئك الذين كانوا منغمسين عميقاً في الشراب نهار البارحة.

أريكسيماخوس: أعتقد بأنّك محقّ، يا ابن أكيومينوس؛ لكنّني سأبقى محبّاً لسماع شخص آخر يتكلّم: هل يستطيع أغاثون أن يشرب شراباً ثقيلاً؟

أغاثون: إنّني لست كفؤاً لها.

أريكسيماخوس: إنّها نعمة، لأنّ الرؤوس الضعيفة كرأسي، ورأس أريستوديموس، فايدروس، والآخرين الذين لا يقدرون على أن يشربوا أبداً، ليجدوا أن الرؤوس الأقوى ليست في مزاجٍ شرابيّ. « إنّني لا أضمّن سقراط، الذي هو قادر إمّا أن يشرب أو أن يمتنع عن الشراب، ولن يهمه أيّهما يفعل ». حسناً، ما دام أحد من المجموعة الموجودة لا يبدو أنّه ميّالٌ ليشرب كثيراً، يمكنني أن أُسامَحَ لتكلّمي الحقيقة بشأن الشراب الكثير. إنّ خبرتي كطبيب أقنعتني أنّ الشراب هو مراسٌ سيّىء، لن أتّبعه إذا ما استطعت، ولن أنصح به الآخرين بكلّ تأكيد، وأقلّ من الجميع لكلّ شخص لا يزال تحت تأثير احتفال البارحة المخمور.

إنّني أفعل ما تنصح به دائماً، وخاصّة ما توصيني به وتصفه كطبيب، واصل فايدروس الميرهينوسيان قائلاً. وستفعل الشيء عينه بقية الجماعة الموجودين، إذا كانوا حكماء.

وافق الجميع على أن لا يكون الشراب الثقيل نظام اليوم هذا، لكن على أن يشرب الكلّ بقدر ما يُسرُّون فقط.

قال أريكسيماخوس بعدئذ: بما أنّكم وافقتم جميعاً على أن يكون الشراب اختيارياً، وعلى أن لا يُجبر أحد على ذلك، فإنّني أقدّم اقتراحاً، في المقام التالي، وهو أن تُخبَرَ الفتاة التي تعزف على الناي، والتي ظهرت لتوّها الآن، بالابتعاد عنا وأن تعزف لوحدها، أو إذا أحبّت، فلتعزف النساء اللواتي في الداخل(١٧). دعونا اليوم نؤدّي محاورة بدلاً من ذلك؛ أو إذا ما سمحتم لي، فإنّني سأخبركم أيّ نوع من المحادثة سنقوم بها. [ لقد لقي هذا الاقتراح الترحيب الجماعيّ ]، ومن ثمّ تقدّم أريكسيماخوس متحدّثاً كما يلي:

سأبدأ على غرار أسلوب ميلانيب في عمل يوريبايدس: الكلمة ليست كلمتي، التي على وشك أن أتفوّه بها، بل إنّها لفايدروس الموجود هنا. لأنّه يقول لي دائماً بنغمة ساخطة: «أيّ شيء غريب هو هذا، يا أريكسيماخوس، في حين أنّ الآلهة الآخرين يمتلكون قصائد وتراتيل أُلّفت في تكريمهم، أمّا إله الحبّ العظيم الغابر، فلم يكن لديه قطّ مادح بين كلّ الشعراء الكثيري العدد. هناك السوفسطائيّون الجديرون بالاعتبار أيضاً ـ كمثال بروديكوس الممتاز ـ الذي أسهب في النثر بمدح الفضائل لهيراكليس وللأبطال الآخرين، والتي ليست فضائل إستثنائية بعد كلّ شيء، باعتبار أنّني واجهت أعمالاً فلسفيّة قد جعلت فائدة الملح موضوع الحديث البليغ، والعديد من الأشياء الأخرى المماثلة التي كانت كلمات التكريم والتبجيل تنصبّ عليها، وذلك

كي يعتقد فقط بأنّها قد وُجدت رغبة عارمة أُبدِعت بشأنها. وبرغم ذلك فإنّه لا أحد تجرأ أبداً على أن يقدم ترتيلة في الثناء على الحبّ جديرة بالتقدير حتّى اليوم! هكذا قد أُهمِل هذا الإله العظيم بشكل تامّ. والآن يبدو لي أن فايدروس محقّ تماماً في هذا، ولذلك فإنّني أحب أن أقدّم له مساهمة بشأنه؛ وإنّي لأفتكر أيضاً في هذه اللحظة أنّنا لا نستطيع أن نفعل أفضل من تكريم إله الحبّ. إذا وافقتموني، فلن يكون هناك نقص في المحادثة؛ وما أعنيه هو اقتراح في أن يؤلّف كلٌّ منّا بدوره خطاباً في تبجيل الحبّ مبتدئين من الشمال إلى اليمين. دع البادىء يعطينا أفضل ما يقدر على إنتاجه من أفكار؛ وسيشرع فايدروس بالكلام، لأنّه يجلس في الصفّ الأوّل على اليد اليسرى، ولأنّه أبو هذا الموضوع.

سقراط: لا أحد سيصوّت ضدّك، يا أريكسيماخوس. كيف يمكنني أن أضادّ اقتراحك الذي يعلن أنّه لا يدرك أيّ شيء سوى قضايا الحبّ؛ ولا أفترض أنّ أغاثون أوْ بوسانياس سيفعلان ذلك؛ ولا يُستطاع وجود أيّ شكّ بشأن أريسطوفان، وهُمُ الذين يهتمّون بديونيسيوس وأفرودايت. لا ولن يعارض هذا أحدٌ من أولئك الذين أراهم حولي. يبدو الاقتراح، كما يمكنني أن أدرك، صعباً علينا بالأحرى نحن الذين نحتلّ المقاعد الخلفيّة؛ لكنّنا سنكون قانعين إنْ سمعنا بعض الأحاديث الجيّدة أوّلاً. دع فايدروس يبدأ في الثناء على الحبّ، وتمنّ له الحظّ الجيد. [أعرب كل المجتمعين عن موافقتهم، وتمنّوا عليه أن يفعل كما أمره سقراط].

لم يتذكّر أريستوديموس كلّ الخطابات المفردة، ولا أتذكّر أنا كلّ ذلك الذي يتعلّق بي؛ غير أنّني سأخبرك ما تصورته الأكثر جدارة بالتذكّر، وما قاله المتكلّمون الرئيسيّون.

إبتدأ فايدروس بإثبات أنّ الحبّ هو إله جبّار، وأنّه رائع بين الآلهة والرجال

لعدة اعتبارات، لكنّه مدهش في ولادته بشكل خاصّ. إنّه أكبر الآلهة سنّاً، وهذا شرف له. والبرهان على مطالبته بهذا الشرف، هو أنّه ليس هناك نصب تذكاريٌّ لآبائه؛ ولم يثبت الشعراء ولا الكتّاب النثريون أنّه كان لديه أيٌّ منها، كما يقول هيسيود:

بادىء ذي بدء أتى الشواش، وبعدئذ الأرض الفسيحة المتوسطة، المركز الأبديّ لكلّ الكائنات والحب. بكلماتٍ أخرى، أتى إلى الوجود بعد الشواش هذا الشيئان الأرض والحب، ويشير بارمينايدس إلى النشوء أيضاً:

بادىء ذي بدء في موكب الآلهة، هُمُ كوّنوا الحبّ.

ويتفق أكيوسيلوس مع هيسيود. عديدة هي الحجج التي تعترف بأنّ الحبّ هو أكبر الآلهة سنّاً، وليس أكبر سناً فقط، بل إنّه مصدر المنافع الأعظم لنا جميعاً. إنّني لا أعرف أيّة نعمة أكبر منه للإنسان الفتيّ المبتدىء بالحياة غيراً من محبٍّ فاضل، أو إلى المحبٍّ غيراً من محبوب يانع لأنّ المبدأ الذي ينبغي أن يكون مرشد الرجال الذين سيعيشون بنبل ـ أقول، إنّ ذلك المبدأ، ليس الأنسباء، ولا الشرف، ولا الغنى، ولا أيّ تأثير آخر قادر على أن يُزرع جيّداً هكذا مثل الحبّ. عمَّ أتكلّم أنا؟ هل أتكلّم عن معنى الشرف والعار، الذي بدون الأول لا تستطيع الدول والأفراد أن تقوم بأيّ عملٍ خيّرٍ أو عظيم. وأقول إنّ المحبّ الذي يظهر للعيان أنّه يؤدّي أيّ عملٍ شائن، وأنّه يذعن من خلال الجبن عندما يهينه الآخرون، وسيكون أكثر تألّماً إذا اكتشف محبوبه هذا من كونه مشاهَداً بأبيه، أو برفاقه، أو بأيّ شخص آخر. عندما يوجد المحبوب في أيّ وضع مشين أيضاً، فإنّه يمتلكه الشعور عينه بشأ حبيبه. وإذا وُجدت طريقة ما للإختراع وهو أنّه يجب أن تنشأ الدولة أو أن يجهَّز جيش من الأحبّاء وممّن يحبّون فقط[١٨]، هُمُ سيكونون أفضل حكامٍ لمدينتهم بالتحديد، ممتنعين عن كلّ ما هو مخزٍ، ومتشبّهين ببعضهم بعضاً في

الشرف. وأنّها لمبالغة أن أقول بأنّهم عندما يحاربون بعضهم إلى جانب بعض، وبالرغم من أنّهم مجرّد حفنة صغيرة، فإنّهم سيقهرون العالم، لأنّ الذي يختاره المحبّ يراه الجنس البشريّ كلّه على الأصح، وليس محبوبه فقط. أمّا عند تخلّيه عن موقعه، أو إلقاء سلاحه فإنه سيكون مستعدّاً كي يموت ألف مرّة مفضّلاً ذلك على تحمّل هجر محبوبه أو أن يخذله في ساعة الخطر. إنّ الجبان الفعليّ لن يصبح بطلاً ملهماً، مساوياً للرجل الأشجع، في وقت كهذا. اذا لم يستحثه الحب وينفخ فيه حياة. تلك الشجاعة التي، كما يقول هوميروس، ينفخها الله في أرواح بعض الأبطال، ويغرس حبّ هبته السخيّ في الحبيب.

سيجعل الحبّ الرجال يجرؤون على الموت من أجل محبوبهم - والحبّ وحده. وستفعل النساء تماماً كما يفعل الرجال ذلك. وما ألكستيس، إبنة بيلياس إلاّ خير شاهد حيّ لهيلاس كلها على هذا لأنّها كانت على استعداد للتضحية بحياتها من أجل زوجها، عندما لم يُقدم أحد على ذلك، مع أنّه كان لديه أب وأمّ، لكن رقّة حبّها فاقت حبّهما؛ ذلك أنّها جعلتهما يبدوان غرباء في الدم والقربى من ابنهما الخاصّ، وينتسبان له بالإسم فقط. وكم ظهر عملها هذا نبيلاً للآلهة وللرجال أيضاً، ذلك أنها واحدة من بين النساء القلائل جداً اللواتي فعلن بفضيلة، والتي مُنِحتْ امتياز العودة حيّةً إلى الأرض إعجاباً بعملها النبيل. لقد دُفِعَ هذا الشرف الاستثنائي بالآلهة إلى إخلاص وفضيلة الحبّ دفعاً. لكن أورفيوس بن أوياغروس، العازف على القيثارة، أرسلوه هم بعيداً خالي الوفاض، محضرين له شبحها فقط الذي نشده هو، لكنّهم لم يتخلّوا عنها، لأنّه هو لم يظهر حيويّة ونشاطاً؛ إنّه كان مجرّد عازف قيثارة، ولم يجرؤ مثلما فعل ألكستيس على أن يموت من أجل الحبّ، بل وجد وسيلة تمكّنه من دخول مكان مثوى الأموات حيّاً. ولهذا

السبب هُمُ سبّبوا له أن يقاسي الموت على أيدي النساء بعد ذلك، كعقابٍ لجبنه. إنّ جائزة الحبّ كانت جائزة مختلفة جدّاً عن جائزة حبّ أخيل الحقيقيّ نحو محبّه باتروكلوس ـ محبّه وليس حبّه. إنّ الفكرة التي تقول إنّ باتروكلوس كان المحبّ الواحد هي فكرة خاطئة غبيّة وقع فيها أخيل، لأنّ أخيل كان أجمل الإثنين، وكان أجمل من كلّ الأبطال الآخرين أيضاً. وكما يخبرنا هوميروس، كان «لا يزال أمرَدَ وأفتى بكثير». وبما أنّ الآلهة يكرمون الحبّ وفضيلة الحبّ بشكل عظيم، يبقى أن إعادة الحبّ من قِبَل المحبّ إلى المحبوب هو أكثر إعجاباً وتقديراً وينال مكافأتهم؛ إنّ المحبّ هو أكثر إلهيّة، لأن الله يلهمه. وبعدُ فإنّ أخيل كان مدركاً تماماً، لأنّ أمّه أخبرته، كان مدركاً أنّ بإمكانه أن يتفادى الموت ويعود إلى البيت ويعيش لعمرٍ مديدٍ طويل، إذا ما امتنع عن ذبح هيكتور. وبرغم ذلك ضحّى بحياته كي يثأر لصديقه، وتجرّأ على أن يموت من أجله. ومن أجل هذا كرّمته الآلهة حتى فوق ألكستيس وأرسلوه إلى الجزر المباركة. تلك هي ذواعيّ وأسبابي للتأكيد على أنّ الحبّ هو أكبر الآلهة سنّاً وأنبلهم وأقواهم، وهو الموجِد الرئيسي وواهب الفضيلة والسعادة، في الحياة وبعد الموت على قدم المساواة.

هذا الحديث، أو ما يشبهه، كان حديث فايدروس؛ وتلته خطب لبعض الرجال الآخرين التي لا يتذكرها أريستوديموس؛ لكنّ الحديث الثاني الذي كرّره كان حديث بوسانياس، حيث قال: أتصوّر، يا فايدروس، أنّ المحاورة لم تُطرح أمامنا في الصيغة الحقيقية تماماً. يجب أن لا نُستدعى كي نثني على الحبّ في هكذا نمطٍ غير مميّز. إذا وُجد حب واحد فقط، فإنّ ما قلته سيكون كافياً حينئذ، لكن بما أنّ هناك أكثر من حبّ واحد، كان عليك أن تبدأ بتقرير أيّ منه وجب أن يكون موضوع الإطراءات. إنّني سأحاول أن

أصلح هذا الخلل؛ وسأخبركم قبل كلّ شيء أيّ حبٍّ يستحقّ الثناء، وسأحاول بعدئذ أن أرتّل الحديث عن الحبّ الجدير بالتمجيد في الأسلوب الذي يستحقّ. نعرف كلّنا أنّ الحبّ غير منفصلٍ عن أفروديت، وإذا كانت أفروديت واحدة فسيوجد حبّ واحد فقط؛ لكن بما أنّه يوجد إلهتان فينبغي أن يكون هناك حبّان. ألستُ محقّاً في التأكيد على أنّ هناك إلهتين؟ الأولى الأكبر سنّاً، ليس لها أم، وهي التي تُسمّى أفروديت السماويّة. إنّها ابنة يورانوس. أما الإلهة الفتيّة، التي هي ابنة زيوس وديون، فهي التي نسمّيها إسماً عامّاً؛ ويدعى الحبّ الذي يكون رفيقها في العمل حبّاً عامّاً بحقّ، بينما يسمّى الحبّ الآخر حبّاً سماويّاً. يجب أن تمتلك كلّ الآلهة ثناءً معطىً لهم، لكن ليس ثناء بدون تمييز بين طبائعهم؛ ولهذا السبب ينبغي عليّ أن أفرّق بين صفات الحبّين الإثنين. وبعدُ فإن الأعمال تتنوّع طبقاً لأسلوب الأداء. خذ، كمثال، الأداء الذي نقوم نحن به الآن ـ شرب، غناء، وحديث ـ إنّ هذه الأفعال ليست خيّرة أو شريرة في أنفسها، لكنّها تصبح في هذه الطريقة أو تلك طبقاً لأسلوب تنفيذها. وعندما تُفعل هذه الأشياء جيّداً فإنّها صالحة، وعندما تُفعل خطأً فإنها طالحة؛ وفي نمطٍ مماثل لا يكون كلّ نوعٍ من أنواع المحبّة ولا كل حبٍّ نبيلاً، بل ذلك الذي يلهم الرجال كي يحيوا بنبلٍ فقط. إنّ الحبّ الذي يكون من ذريّة أفروديت العامّة يكون حبّاً مشاعاً بالضرورة، ولا يمتلك تمييزاً في المعاملة، كونه هكذا كي يحرّك النوع الأحقر من الرجال. هُمُ ميّالون كي يحبّوا النساء وكذلك الشباب، ويُغرمون بالجسد بدلاً من غرامهم بالروح ـ إنّ المخلوقات الأكثر غباء التي يقدرون على إيجادها هي أهداف هذا الحبّ الذي يرغب أن يكسب غاية فقط، لكنّه يحاول أبداً إنجاز هذه الغاية بنبل، ولذلك يفعل الخير والشرّ بدون أي تمييز تماماً. إنّ الإلهة التي هي أمّ هذا الحبّ هي أفتى من الأمّهات الأخريات ببعد

كبير، وهي وُلدت من اتحاد الذكر والأنثى واشتركت معهما كليهما. لكنّ نَسْل أفروديت السماويّة متفرّع من أمٍّ ليس للأنثى أيّ دورٍ في ولادتها - إنّها ولدت من الذكر فقط. إنّ هذا الحبّ هو ذلك الحبّ الذي للشباب، وكونه الإلهة الأكبر سنّاً، فهو لا يفتقر لأيّ شيء. إنّ أولئك الملهمين بهذا الحبّ يستديرون إلى الذكور ويبتهجون بأنّهم يكونون الأكثر بسالة وذكاء بطبيعتهم؛ يمكن لأيّ شخص أن يدرك الحماس الصافي في مودّتهم الأخلاقيّة تحديداً. هُمُ لا يحبّون الصبيان، بل يحبّون المخلوقات الذكيّة الذين يكون عقلهم آخذاً بالتحسّن والتطوّر، وبالتحديد في الوقت الذي تبدأ لحاهم فيه بالنموّ. وأعني أنّهم مبتدئون من اختيارٍ كهذا، فإنّهم جاهزون لأن يكونوا مخلصين أوفياء لرفاقهم، ويقضون حياتهم كلّها معهم، ولا يأسرونهم بقلّة خبرتهم، ويخدعونهم، ويخلقون أغبياء منهم ويولّون هاربين إلى الآخرين. غير أنّ حبّ الصبيان الفتيان يجب أن يمنعه القانون، لأنّ مستقبلهم سيكون مستقبلاً غير واضح المعالم. يمكن أن يصبحوا إمّا أخياراً أو أشراراً في الروح أو الجسد، ويمكن أن يلقوا حماساً نبيلاً. إنّ الأخيار يفرضون هذا القانون على أنفسهم في نطاق إرادتهم الحرّة؛ ويجب على النوعيّة الفظّة من المحبّين أن يقيّدوا بالقوة، كأنْ نكبّتُهم ونحاولُ منعهم من أن يركّزوا شهواتهم ونزواتهم على النساء ذات الولادة الحرّة. إنّ هؤلاء الأشخاص هم الذين يتجرّؤون على لوم الحبّ مشاهدين أنّ عدم تناسبهم وأنّ بعض الأناس يذهبون بعيداً كي يعيقوا هكذا مودّات بينهم من الخجل؛ إذ بالتأكيد لا شيء يُفعل بتهذيب وقانونيّة يمكن أن يُعنَّف بعدل. وبعدُ فإنّ القواعد القانونيّة هنا في لاقيدايمونيا بشأن الحبّ مشوّشة، لكنّها في أكثر المدن بسيطة ومفهومة بسهولة. ففي إليس وبويوتيا، وفي البلدان التي لا تمتلك هبات الفصاحة والبلاغة، تكون غير معقّدة أبداً؛ إنّ القوانين تتعاطف مع

هذه الروابط بكلّ بساطة، ولا أحد يمتلك أي شيء ليقوله بالتشكيك فيها، سواء أكان شاباً أو مسنّاً، والسبب كونه، كما أفترض، أنّ الرجال هم قليلو الكلام في تلك الأجزاء من العالم، ولهذا فإنّ المحبّين لا يرغبون في أن ينزعجوا في المدافعة عن شكواهم. يصحّ العرف في أيونيا والأماكن الأخرى، وفي البلدان الّتي تخضع للبربر بشكل عام، يصحّ العرف أنّه عرفٌ شائنٌ ومخزٍ بسبب حكوماتهم الاستبدادية. إنّ محبّة الشباب قرينة السمعة السيئة التي تصدق فيها الفلسفة والألعاب الرياضية، لأنّ منافع الحكام ومصالحهم تقتضي، كما أفترض، أن يكون رعاياهم فقراء في النفس[١٩]، وأنه لا يوجد رباط قويّ للصداقة أو للمجتمع بينهم، ويكون الحبّ المحرّك لتلك الاشياء على الأصحّ، فوق كلّ البواعث الأخرى. إنّه الدرس الذي تعلّمه طُغاتنا الأثينيون بالخبرة، بما أنّ حبّ أريستوجاتيون وإخلاص هارموديوس كان له من العزيمة بحيث أبطل مفعول قوّتهم. ولهذا السبب، فإنّ السمعة السيّئة التي وقعت فيها هذه الارتباطات تُعزى للحالة المتدنّية للذين جعلوها ذات سمعة متدهورة. ذلك عائدٌ، إلى أنانيّة الحكّام وجبن المحكومين. وعلى الجانب الآخر، فإنّ الشرف غير المميَّز الممنوح لهم في بعض البلدان يُعزى إلى الكسل الفكريّ لأولئك الذين يتمسّكون بهذا الرأي عنهم. أمّا في بلادنا، التي هي ملك لنا، فإنّه يسود مبدأ أفضل ببعد كبير، لكن، كما قلت، فإنّ الإيضاح عنه ليس سهلاً إدراكه. لاحظ أنّ الحبّ العلني يُعتقد بأنّه أكثر شرفاً من الحبّ السرّيّ، وأنّه الحبّ الأنبل والأسمى، حتّى إن كان أشخاصه أقل جمالاً من أشخاص الحبّ الآخر. تأمّلوا مليّاً أيضاً، ما أعظم التشجيع الذي يعطيه العالم للمحب، فهو لا يعامله وكأنّه كان يفعل شيئاً ما مخزياً؛ لكنّه إذا نجح يُثنى عليه، وإن أخفق يُلام. وتسمح له عادة الجنس البشريّ أن يفعل العديد من الأشياء الغريبة في ملاحقته لحبّه، والتي ستدينها الفلسفة

بمرارة إن تمّ القيام بها من أيّ محرّك أو فائدة أخرى، مثل المحبّة والرغبة في الحصول على المال أو أيّ نوع آخر من أنواع السلطة. يمكنه أن يصلّي، ويتضرّع، ويتوسّل، ويقطع على نفسه عهداً، ويكذب على الحصيرة عند الباب، ويقاسي العبودية التي هي أسوأ من العبوديّة التي لدى أيّ عبد - وفي أيّة حالة أخرى فإنّ الأصدقاء والأعداء سيكونون جاهزين كي يمنعوه من فعل ذلك بشكل متساوٍ، لكن الآن ليس هناك صديق سيستحي منه ويحذّره، وليس هناك عدوّ سيتّهمه بالدناءَة والتملّق. إنّ أعمال المحبّ تمتلك رشاقة وفضيلة تشرّفه. وقرّرت العادة والعرف أنها ليست معرّضة لأيّ تأنيب، لأنّ تلك الأعمال لها غرض نبيل. والأغرب من هذا كلّه أنه يمكنه هو فقط أن يحلف وأن يقسم كذباً بنفسه « هكذا يقول الرجال »، والآلهة سوف تصفح عن خطاياه، إذ لا يوجد أيّ شيء كقَسَم المحبّ هذا. هكذا هي الحرية الكاملة التي سمح بها الآلهة والرجال للمحبّ، طبقاً للعرف الذي يسود في هذا الجزء من العالم. يمكن لإنسان أن يحاور منطلقاً من وجهة النظر هذه بعدل وهو أنّه كي تُحبّ وكي تكون محبوباً في أثينا، فإنّ هذا يُعتبر الشيء الأكثر تبجيلاً. لكن عندما يمنع الآباء أولادهم من التحدّث مع أحبّائهم، ويضعونهم تحت عناية معلّم خصوصيّ يرشد لتلك النتيجة المطلوبة، وعندما يتفوّه رفاقهم وأترابهم بأيّ شيء من ذلك النوع الذي يمكنهم مراقبته، ويرفض الأكبر منهم سنّاً أن يُسكِتوا المؤنّبين ولا يعنّفوا هذا النقد الخاطىء - إنّ هذا الشخص الذي يتأمّل ملياً سيتصوّر عكس ذلك، وهو أنّنا نتمسّك بهذه الممارسات لكونها الأكثر خزياً. لكنّ الحقيقة، كما أتصوّر، هي أنّ الحكم على هكذا ممارسات لا يمكن أن يكون حكماً مطلقاً؛ وليست هذه الممارسات شريفة ولا مخزية في حدّ ذاتها، كما قلنا في بداية حديثنا، بل إنّها ممارسات شريفة لمن يتبعها بشرف، وخسيسة لمن يلاحقها بخسّة.

هناك عار في الإذعان للشرّ، أو الإذعان لأيّ أسلوب سيِّىء. لكنّ الأسلوب السيِّىء في الحبّ، هو أسلوب شرّير يتّبعه المحبّ السوقيّ بنفسه الذي يحبّ الجسم بدلاً من الروح. وهذا الحبّ لا يعطيه أيّ نوع من أنواع الاستقرار، لأنّه يحبّ شيئاً يكون مزعزعاً في نفسه. ولذلك عندما ينقضي ريعان الشباب الذي كان توّاقاً إليه، فإنّه يخترع جناحين ويطير بعيداً، مُهيناً كل كلماته ومخلفاً كل وعوده؛ في حين أنّ الحبّ ذا النزعة النبيلة يستمرّ مدى الحياة، لأنّه يصبح واحداً مع الحبّ الثابت والمتين. إنّ عرف بلادنا وتقليدها سيصادقان عليهما كليهما جيّداً وبحقّ، وسيجعلاننا نذعن للنوع الأول من أنواع المحبّ ونتفادى النوع الآخر؛ ولذلك فإنّ البعض يشجّع أن يلاحق، والبعض الآخر أن يهرب، مختبرين المحبّ والمحبوب كليهما في المنافسات والتجارب، إلى أن يُظهروا لأيٍّ من النوعين الإثنين من أنواع الحَبّ ينتسبون على التوالي. وهذا هو السبب الذي يلزم لأجله، في المقام الأوّل، أن تكون المودّات والروابط المتسرّعة شائنة لأنّ الوقت هو الاختبار الحقيقيّ لهذا الشيء كما لأكثر الأشياء الأخرى؛ وثانياً هناك خزيٌ في كون الإنسان مقهوراً بحبّ المال أو القوّة السياسيّة، سواء إذا أُخيف الإنسان كي يستسلم لهما بصعوبة كثيرة، أو يبقى عائشاً يستمتع بالمنافع التّي تقدّمها، ولا يقدر أن يرتفع فوق إغراءَاتهما. إذاً ما من واحدٍ من هذين الشيئين يكون ذا طبيعة أزلية أو باقية؛ هذا بدون أن أذكر أنّه لم ينشأ منهما أيّة صداقة سمحة. يبقى هناك بعدئذ طريق واحد للمودّة الشريفة التي تسمح تقاليدنا بها كي يتبّعها. فقاعدتنا وقوانينا تقول: إنّ أيّة خدمة وضيعة يقوم بها المحبّ نحو المحبوب لا تُحسب تملّقاً أو تأنيباً لنفسه، وهكذا فإنّ المحبوب يمتلك طريقة واحدة فقط لهذه الخدمة الاختيارية التي ليست عرضة للتوبيخ، وهذه الطريقة هي خدمة موجّهة نحو الفضيلة.

تعرفون أنتم أنّ عادتنا هي أنّ أيّ شخصٍ يقدِّم خدمة إلى الشخص الآخر ظنّاً منه أنّه سيتحسَّن بواسطتها إمّا في الحكمة، أو في نقطة ما أخرى خاصة بالفضيلة ـ أقول، إنّ خدمة اختيارية كتلك، لا يجب اعتبارها كأنّها عارٌ، ولا تكون معرّضة للإتّهام بالمداهنة. وهاتان العادتان، إحداهما حُبّ الشباب، والأخرى ممارسة الفلسفة والفضيلة بشكل عامّ، يجب أن يلتقيا في عرفٍ واحد، وحينئذ يمكن للمحبوب أن ينغمس في حبّ حبيبه بشرف. إذ عندما يأتي المحبّ والمحبوب معاً، ممتلكاً كلٌّ منهما قانوناً داخلياً، المحبوب يظنّ أنّه محقٌّ في تقديم أيّة خدمة يستطيع تأديتها لمحبّه اللطيف الفاتن، والآخر محقٌّ في إظهار أيّ عطف يستطيعه لمن يجعله حكيماً وصالحاً؛ أحدهما قادر على نقل الفهم والفضيلة، والآخر ناشد إن ينالهما بقصد التعليم والحكمة؛ وعندما يُنجز هذا القانون ويلتقيان في قانون واحد، حينئذٍ، وحينئذ فقط، يمكن للمحبوب أن يرقّ ويلين لمحبّه بشرف. ولا يوجد أيّ عار عندما يكون المحبّ من هذا النوع النزيه، لا عار في كونه مخدوعاً، لكن هناك خزياً متساوياً بكلّ حالة أخرى في كونه مخدوعاً أم لا. لأنّ مَنْ يكون مهذّباً نحو حبيبه تحت انطباع أنّه حبيب غنيّ، ويصبح أمله خائباً بسبب أنّه ظهر فقيراً، إنّ هذا الشخص يُهان بعد كلّ هذا بالشيء عينه لأنّه فعل أفضل ما يقدر عليه ليبيِّن أنّه يستطيع أن يسلِّم نفسه إلى « الأغراض الدنيئة » لأجل الحصول على المال. لكنّ هذا الأسلوب في التعامل ليس أسلوباً شريفاً وعلى المبدأ عينه فإنّ مَنْ يسلِّم نفسه إلى المحبّ لأنّه إنسان صالح وعلى أمل أنه سيتحسَّن بعشرته، إنّ هذا الشخص يُظهر نفسه أنّه إنسان فاضل، حتّى يثبت قصد عاطفته أنها سافلة في النهاية، وأنّه ليس فيها فضيلة؛ حتّى مع أنّه قد خُدِع فإنّه ارتكب خطأً نبيلاً لأنّه برهن أنّه لن يفعل أيّ شيء من جانبه لأيّ شخص بالنظر إلى الفضيلة والإصلاح اللذين لا يوجد أيّ شيء أنبل

منهما. هكذا يكون قبول الواحد للآخر قبولاً نبيلاً في كل حالة، إذا كان هذا القبول يهدف للفضيلة. ويكون هذا الحبّ ذلك الحب الذي يأتي مِن الإلهة السماويّة، ويكون هو عينه حباً سماويّاً، وذا ثمن كبير للأفراد والمدن. إنّ هذا الحبّ يجعل المحبّ والمحبوب كليهما متشوّقين للقيام بتقدّمهما الأخلاقي الخاصّ بهما بشكل مماثل. لكنّ كلّ الحبّ الآخر يكون من ذرّيّة الغير، التي هي إلهةً عامّة. إنّني أقدّم إليك، يا فايدروس، مساهمتي هذه في الثناء على الحبّ، والتي هي مساهمة جيّدة بالقدر الذي أستطيع ارتجاله في هذه المناسبة.

وصل بوسانياس إلى نقطة صمت بعد ما قاله واستطرد: ـ إنّ هذه هي الطريقة المتّزنة التي قد علّمني الحكيم أن أتكلّم بواسطتها. وقال أريستوديموس إنّ دور أرسطوفان أتى كي يبدأ الحديث، لكن إمّا أنّه أكل أكثر من اللازم، أو لسببٍ ثانٍ آخر فإنّه كان يحزّق، ولم يتمكّن من الكلام. وهكذا إستدار إلى أريكسيماخوس الطبيب، الذي كان متّكئاً على الأريكة التي كانت أكثر انخفاضاً من مكان جلوسه، وقال، « يا أريكسيماخوس، إمّا عليك أن توقف حزقتي، أو أن تتكلّم في دوري حتى أشفى ممّا أنا فيه ».

أجابه أريكسيماخوس: إنّني سأقوم بكليهما، سأتكلّم بدورك وتكلّم أنت بدوري، وبينما أتحدّث دعني أنصحك بأن تمتنع عن التنفّس، وإذا لم تتحسن الحزقة بعد بعض الوقت، تغرغر بقليل من الماء حينئذ. وإذا بقيت الحزقة عنيفة، دغدغ أنفك بشيءٍ ما وأعطس. وإذا عطست مرّة أو مرّتين، فإنّه حتى الحزقة الأكثر عنفاً ستتوقّف حالاً بكلّ تأكيد. سأفعل كما تصف، قال أريسطوفان، والآن واصل كلامك.

تكلّم أريكسيماخوس كما يلي: لقد لاحظنا أنّ بوسانياس ابتدأ كلامه جيّداً، لكن كانت له نهاية غير مقنعة، وأنا يجب أن أسدّ حاجة هذا النقص.

أعتقد أنّ بوسانياس كان محقّاً عندما ميّز نوعين من أنواع الحبّ، لكنّ فنّي يقول لي إنّ الحبّ المضاعف ليس شعور روح الإنسان نحو الجمال الإنساني فحسب، بل إنّه عاطفة موجّهة إلى العديد من الأهداف الأخرى، ويوجد في الأشياء الأخرى. يوجد في أجسام كلّ الحيوانات وفي ما تنتجه الأرض، ويمكنني أن أقول بأنّه موجود في كل الكائنات؛ هكذا يكون الاستنتاج الذي يبدو أنّني استخلصته من فنّي الطبّيّ. لذلك فإنّني تعلّمت كم هو عظيم ومدهش وعالميّ إلهُ الحبّ الذي تمتدّ امبراطوريته فوق الأشياء كلّها، الإلهيّة منها والإنسانيّة. وسأبدأ كلامي من علم الطبّ كي أتمكّن من تشريفِ فنّي. يوجد هذان النوعان من أنواع الحبّ في الجسم بطبيعته؛ فحالة الجسم الصحّيّة وحالته المرَضيّة معترف بأنهما متشابهتان ومختلفتان. وكونهما غير متشابهتين، هما تمتلكان حباً ورغبات مختلفة. وهكذا فإنّ منية الأصحّاء تكون واحدة، ورغبة المرضى مغايرة ومتباينة. وكما قال بوسانياس لتوّه فإن الانغماس مع الرجال الأخيار عمل شريف، وأما مع الأشرار فعمل خسيس، وهكذا يكون الجسد. إنّ من الجودة بمكان، ومناسب لكلّ جسم، أن تُحبَّذ العناصر الصالحة والصحيّة « وهذا هو ما يدعى ممارسة علم الطبّ »، ولا يجب أن تُغمس عناصر السوء وعناصر المرض فيه، بل أن توهَنَ عزيمتها وتُضعَّف. هذا ما ينبغي على الطبيب أن يفعله، ويكمن فنّ علم الطبّ في هذا العمل؛ لأنّ علم الطبّ يمكن أن يُوصف باختصار وكأنّه المعرفة بحبّ ورغبات الجسد، وكيف سترضيها وتشبعها أو تقهرها وتكبح جماحها. أمّا أفضل الأطبّاء فهو مَن يقدر على أن يفصل الحبّ الجميل والمنصف عن الحبّ الكريه والقذر، أو أن يحوّل الواحد إلى الآخر، وهو الذي يعرف كيف يستأصل وكيف يزرع الحبّ. ومن يعرف كيف يوفّق بين العناصر الأكثر عداءً في المجتمع ويجعلها صديقة محبّة فإنه ممارس حاذق وبارع في

مهنته. وبعدُ فإنّ العناصر الأكثر عداءً هي العناصر الأكثر تضاداً، هذا هو مَثَلُ الحارّ والبارد، والمرّ والحلو، الرّطب والجافّ، وما شابه. إنّ أبانا آيسكولاييوس، عارفاً كيف يغرس الصداقة والاتفاق في هذه العناصر، كان هو مبدع فنّنا كما يخبرنا أصدقاؤنا الموجودون هنا، وأنا أصدِّقهم؛ ولا يكون فنّ الطبّ تحت سلطته فقط وفي كلّ فروعه، بل إن فنون الألعاب الرياضية وفنون الزراعة هي كذلك بشكل مماثل. إنّ أيّ شخص يبدو قليل اهتمام بالموضوع هذا سيدرك أيضاً أنه يوجد التوفيق عينه بين المضادّات في علم الموسيقى. وأفترض أن هذا كان المعنى الذي قصده هيراقليطس، رغم أنّ كلماته ليست دقيقة. يقول إنّ الواحد يكون متّحداً بالانفصال، مثل تآلف الألحان أو الإيقاع للقوس والقيثارة. وبعدُ فإنّها قمّة السخرية أن تقول إنّ الإيقاع يكون تنافراً أو إنّه مؤلَّف من عناصر لا تزال في حالة عدم انسجام. لكن ما عناه هيراقليطس، هو أنّ تآلف الألحان يُكتسب من خلال فنّ الموسيقى وبواسطته، وذلك بتوافق العلامات الموسيقية المختلفة لنوع الصّوت الأعلى والأسفل التي تضاربت لمرّة، إذ لو كانت العلامات الموسيقيّة العليا والسفلى لا تزال متضاربة، فلن يكون هناك إيقاع أو تناسب ألحان، ـ لا بوضوح، لأنّ الإيقاع هو تآلف الأصوات، وتآلف الأصوات نوع من أنواع الاتفاق؛ لكن لا يمكن أن يكون اتفاق الخلاف في حين تتّفق. إنّني أكرِّر، لا تستطيع أنت أن تعزف بطريقة إيقاعيّة ذلك الذي لا يتّفق. في نمط مماثل فإنّ الإيقاع يُركَّبُ من عناصر قصيرة وطويلة متّفقة. عندما تكون في انسجام. لكنْ أيّ انسجام؟ إنّه كالانسجام الشبيه بالمَثَل الذي أعطيناه في علم الطبّ. هكذا يكون في كل الحالات الأخرى التي تغرسها الموسيقى، خالقة الحبّ والوئام كي يكبرا بيننا. ولهذا فإنّ علم الموسيقى يكون علم ظاهرة الحبّ أيضاً في تطبيقه العمليّ للإيقاع والتناغم. مرّة ثانية، ليس في

تكوين الإيقاع، كما في التناغم، صعوبة في إدراك الحبّ، وليس هناك إشارة لازدواجيته حتى الآن. لكنّك عندما تريد أن تستعملهما في الحياة الفعليّة، إمّا في نوع من أنواع التأليف الذي يصحّ فيه الاصطلاح « غنائي » أو في التوظيف الصحيح للنغمات أو أوزان الألحان المؤلّفة مسبقاً، والتي تسمّى الأخيرة تعليماً، حينئذ فإنّ الصعوبة تبدأ حقّاً، ويُحتاج للفنّان البارع عندئذ. إذن فإنّ القصّة القديمة يجب أن تُردَّد عن الحبّ الجميل والسماويّ ـ الحبّ الذي يأتي من يورانيا الجميلة ومن آلهة الشعر السماويّة ـ وكذلك يجب أن تُردَّد عن الواجب لمكافأة المعتدل، وعن أولئك الذين يكونون مفرطين كي يمكنهم أن يصبحوا معتدلين، وعن الاحتفاظ بحبّهم وصيانته. ومرّة ثانية، يجب أن تردَّد القصّة القديمة عن الحبّ العامّ الذي يأتي من بولي ـ هيمينا، ويجب أن يُستعمل هذا مع الحذر والوعي، كي يُستمع لحكايته بسرور، لكنّه ينبغي أن لا يولّد الفسق؛ تماماً كما أنّها مسألة كبرى في فنّنا الخاصّ وهي أن تنظّم هكذا رغبات اللذّة الحسيّة، ذلك كي تنال مسرّتها بدون حضور المرض وشرّه. لذلك فإنّني أستنتج أنّه كما في علم الموسيقى، في علم الطبّ، وفي كلّ الأشياء الأخرى الإلهية والإنسانية أيضاً، يجب مراقبة كلا الحبّيْن على قدر الإمكان، لأنّ كليهما موجودان.

إنّ مسار الفصول ممتلىء من كلا هذين المبدأين أيضاً؛ وعندما تكتسب عناصر الحارّ والبارد، الرطب والجافّ، كما كنت قائلاً، عندما تكتسب الحبّ المعتدل بعضها لبعض، وتمزجه في تآلف أنغام مشذّب ومبسّط، فإنّه يجلب إلى الرجال والحيوانات والنبات، الصحّة والوفرة ولا يصيبها بأي أذى؛ في حين أنّ الحبّ الخليع له اليد الطولى ويؤثّر على الفصول السنويّة، ويكون مدمّراً ومؤذياً، كونه أصل مرض الطاعون ويجلب أنواعاً عديدة ومختلفة من الأمراض على الحيوانات والنبات. وأيضاً فإنّ الصقيع والبَرَدَ

والآفة الزراعية تَنزعُ لتنبثق من التفاوت والفوضى المشتركة التي مسبّبها هذا الحب، والتي يجب معرفتها فيما يتعلّق بدوران الأجسام السّماوية وفصول السنة التي يسمّى علمها علم النجوم. أكثر من ذلك، فإنّ كلّ التضحيات والنشاطات التي هي المقاطعة المختصّة بالألوهية والتي تشكّل المشاركة بين الآلهة والرجال ـ أقول، إنّ هذه الأشياء تختصّ بالإحتفاظ بالخير فقط وبشفاء الحبّ الشرّير. لأنّ كلّ نوع من أنواع العقول ينشأ بالاحتمال كنتيجة لتكريم رجل الحبّ الآخر، بدلاً من مكافأة وتمجيد وتبجيل الحبّ المعتدل، سواء أكانت علاقته علاقة بالآلهة أو بآبائه. ولهذا فإنّ العمل الأُلوهي هو أن يراقب ويحرس هؤلاء المحبّين وأن يشفيهم، والألوهيّة هي صانعة السّلام بينَ الآلهة والرجال، فِعلُها فِعلاً بمعرفة الميول والأهداف للدين والتقوى الموجودة في الحبّ الإنساني. تلك هي القوّة العظيمة والجبّارة، أو على الأصحّ هي القدرة الكليّة للحبّ بشكل عامّ. لكنّ الحبّ الذي يختصّ بالخير والذي يُكمّل في رفقة مع الاعتدال والعدل، سواء أكان بين الآلهة أو الرجال، فإنّ له الخصوصية الأكثر، ويمتلك القوّة الأعظم، ويكون أصل سعادتنا كلها، ويهبنا المشاركة والصداقة مع الآلهة الموجودة فوقنا، وكذلك يهبنا إيّاها مع بعضنا بعضاً. أجرؤ على القول، بأنّي أسقطت الكثير من الكلام الذي يمكن أن يقال في الثناء على الحبّ أيضاً، لكنّ هذا الإسقاط لم يكن مقصوداً. وأنت، يا أرسطوفان، يمكنك أن تعوّض ممّا حذفته أنا أو أن تأخذ منحىً آخر للمديح لأنّي أتصوّر أنّك قد تخلّصت من الحزقة.

أريسطوفان: نعم، إنّ الحزقة قد ولّت الآن، لكنّها لم تفعل ذلك إلاّ عندما استخدمت طريقة العطس؛ وإنّني أتساءَل إذا ما كان الجهاز المنظّم للجسم يمتلك حبّاً لهكذا ضوضاء ودغدغة، لأنّي عندما استخدمت هذه الطريقة كأقرب ما يكون شفيت من الحزقة.

أريكسيماخوس: كن حذراً، أيها الصديق أريسطوفان. ومع أنك عازم على أن تتكلم، فأنت تهزأ بي. وأنا بدوري علي أن أحترس وأرى اذا كنت سأتمكن من أن أسخر منك على حسابك، عندما يمكنك أن تتكلم بسلام.

أريسطوفان: إنّك لمحقّ تماماً « قالها ضاحكاً »، وأنا سأسحب كلماتي. لكن أرجوك أن لا تراقبني، لأنّني أخشى أن يسخر منّي الآخرون بسبب الحديث الذي أوشك على تأديته، بدل من أن يضحكوا معي، والذي يكون العمل الطبيعي للقائنا وتسليتنا.

أريكسيماخوس: وهل تتوقّع أن تطلق سهمك وتولّي هاربا، يا أريسطوفان؟ حسناً، ربّما إذا كنت محترساً جداً، وفي ذهنك أنّك ستُستَدعَى إلى الحساب، ربّما يمكنني أن أقتنع وأدعك وشأنك عندئذ.

تظاهر أريسطوفان بأنّه سيعبّر عن أفكاره بنوع آخر من أنواع الحديث. كانت نيته أن يثني على الحبّ بطريقة أخرى، مختلفةٍ عن الطريقة التي استخدمها بوسانياس أو أريكسيماخوس، فقال: إنّ أفراد الجنس البشريّ، كما أعتقد، محتكمين بذلك إلى إهمالهم للحبّ، لم يفهموا قوّة هذا الحبّ على الإطلاق لأنّهم إذا فهموها فمن واجبهم نحوه أن يبنوا المعابد والهياكل تخليداً لذكراه، وأن يقدّموا التضحيات الجليلة تكريماً له. لكنّ هذا الشيء لم يقم أحدٌ به، وهو ما كان يجب تأديته بالتأكيد الأكثر، ما دام الحبّ هو الصديق الأفضل للرجال من كلّ الآلهة، وهو المساعد والشافي من كل الأمراض التي هي أكثر إعاقة لسعادة السلالة البشرية. سأحاول أن أصف لكم قوّة هذا الحبّ، وستعلّمون أنتم بقيّة العالم ما سوف أثقّفكم. دعوني أعالج طبيعة الإنسان، في المقام الأوّل، وما حدث لها. إنّ طبيعة الإنسان الأصليّة لم تكن مثل طبيعته الحاضرة، بل كانت طبيعة مختلفة. الأجناس لم تكن كما هي الآن، بل كانت ثلاثة في العدد أصلاً؛ كان هناك الرجل،

المرأة، واتّحادهما، الذي بقي منه الاسم، لكن لم يبقَ منه أيّ شيء آخر. مرّة كان نوعاً مميزاً بشكل جسد وله إسم خاص به، وكان مؤلفاً باتحاد الذّكر والأنثى، لكن الآن حُفظت الكلمة « خنثوي » فقط، وكانت تلك الكلمة مثل الاصطلاح التوبيخي. في المقام الثاني، فإنّ الإنسان الأوّل كان شكله مستديراً، وكذلك كان شكل ظهره وجانبيه؛ وكان له أربعة أيدٍ، والعدد عينه من الأقدام، ورأس واحد بوجهين. وكان ينظر في الاتجاهات المضادّة، ورأسه هذا وُضع على رقبة مستديرة، وكانا متشابهين بالضبط؛ وكان له أربع آذان أيضاً، وعضوان محجوبان، وما بقي كي يتطابق معهما. لقد استطاع هذا الإنسان أن يمشي مستقيماً كما يفعل الرجال الآن، وكذلك أن يسير إلى الخلف وإلى الأمام كما يريد، وقدر على أن يتدحرج عدة مرات وبسرعة عظيمة، وتمكن من أن يستدير على يديه الأربعة وأرجله الأربعة، الثماني كلها، مثل البهلوانيات ذاهباً مرة فوق أخرى وأرجله في الهواء. إنّه قام بهذا العمل عندما أراد أن يجري بسرعة. وبعدُ فإنّ الأجناس كانت ثلاثة في العدد، وهكذا كما وصفتها لأنّ الشمس، القمر، والأرض كانت ثلاثة في العدد أيضاً، وكان الإنسان طفل الشمس في الأصل، والمرأة طفلة الأرض، والرجل ـ المرأة طفل القمر الذي صُنع من الشمس والأرض، وكانوا كلّهم ذوي شكل مستدير وتحركوا دائرياً ودائرياً لأنّهم شابهوا آباءَهم. أما جبروتهم وقوّتهم الجسديّة فكانا هائلين، وكانت أفكار قلوبهم عظيمة، وخططوا لهجوم على الآلهة؛ وحكت عنهم حكاية أوتيس وايفيلاتيس اللذين حاولا أن يزنا السماء، ويضعا أيديهما على الآلهة. إنّ الشكّ ساد في المجالس السماويّة. هل سيقتلونهم ويبيدون السلالة بالصواعق، كما فعلوا بالعمالقة، حينها ستكون نهاية للأضاحي والعبادة التي قدّمها الرجال لهم؛ لكن، على الجانب الآخر، لم يستطع الآلهة أن يقاسوا غطرستهم في

انفلاتهم. وٱكتشف زيوس طريقه أخيراً، بعد تأمّل مليّ ذي مقدار عظيم، قال: « يخيّل إليّ أنّي أمتلك مخطّطاً سيضعف قوّتهم الجسديّة، وهكذا سيخمد شغبهم. سوف يستمرّ الرجال في البقاء لكنّني سأقطعهم إلى اثنين، وستُقلَّل قوّتهم الجسديّة حينئذ، ويزدادون في العدد. إنّ هذه العملية لها فائدة لجعلهم أكثر نفعاً لنا. هُمُ سيسيرون منتصبين على ساقين، وإذا ما بقوا متغطرسين ولن يهدؤوا، فإنّني سأشقّهم إلى نصفين مرّة ثانية وسيثبون هنا وهناك على ساق واحدة ». تكلم ذلك وقطع الرجال إلى نصفين، مثل التفاحة التي قُسِمَت إلى نصفين لتخليلها، أو كما يمكنك أن تقسم بيضة بالشعرة. وبما أنّه فصل أحدهما عن الآخر، أُمر أبوللو أن يعطي الوجه ونصف الرقبة دورة كي يتمكن الرجل من أن يتأمّل الجزء من نفسه: سيتعلّم هو هكذا درساً في التواضع. أُمر أبوللو أيضاً أن يداوي جراحهم وأن يؤلف أشكالهم. وهكذا أعطى إستدارةً للوجه وجذب الجلد من كل الجوانب فوق ذلك الجزء من الجسم الذي نسمّيه البطن في لغتنا، جذبه مثل أكياس الدراهم التي سُحِبت بإحكام، وصنع هو فماً واحداً في الوسط، الذي ثبّته في عقدة « الشيء عينه الذي يُسمّى السرّة ». صاغ هو الصدر أيضاً وأخفى أكثر التجاعيد فيه، مثلما يمكن لصانع الأحذية أن يطرّي ويصقل الجلد في عملية التصنيع الأخيرة؛ ترك زيوس قليلاً منها، على كلّ حال، في منطقة البطن والسرّة، كشيء تذكاريٍّ كحالة الانسان الأوليّة. وبعد قسمة جزأي الإنسان الاثنين، بما أنّ كلاً منهما رغب نصفه الآخر، أصبحا معاً، ورميا بأذرعتهما حول بعضهما بعضاً، وحُبِكا في عناق مشترك، متشوّقيْن ليكونا معاً في شخص واحد. أوشكا أن يموتا من الجوع وإهمال النفس، لأنّهما لم يحبّا أن يفعلا أيّ شيء منفصلين. وعندما مات واحد من النصفين وبقي النصف الآخر، نشد الذي نجا من الموت رفيقاً آخر له، رجلاً كان أو امرأة

كما ندعوهما ـ كونهما الأقسام الكاملة للرجال والنساء، والتصقا بذلك. هكذا كانا كونهما مدمَّرين، عندما اخترع زيوس مخططاً جديداً شفقة منه عليهما: أدار أجزاء التوليد دورة إلى الأمام، لأنّ هذا الوضع لم يكن وضعهما على الدوام، وهما لم يزرعا البذار بعد اليوم كما يفعل الجندب بزرع بذاره في الأرض، بل زرعوا البذار أحدهما في الآخر؛ وبعد الإبدال أُنتج الذّكر في الأنثى كي يتمكنا من أن يتوالدا بالاحتضان المشترك للرجل والمرأة، ولتقدر السلالة على الاستمرار، أو إذا حضر الرجل إلى الرجل يمكنهما أن يكونا قانعين ومرتاحين، وأن يذهبا، كلٌّ في طريقه لإتمام أعمال الحياة. وهكذا فإن الرغبة قديمة في بعضنا بعضاً وقد غُرِست فينا، موحِّدة طبائعنا الأصليّة مرّة ثانية، ناشدة أن تجعلها واحدة من الإثنتين، وأن تداوي حالة الرجل. إنّ كلّ واحد منّا له جانب واحد حين انفصاله، وما هو إلا تطابق لنصف الرجل، ويبحث عن نصفه الآخر دائماً. إنّ الرجال الذين هم جزءٌ من تلك الطبيعة المضاعفة التي كانت تدعى خنثوية مرّة هم محبّون للنساء؛ إن الزانين هم من هذا التوالد بشكل عام، وأيضاً الزانيات اللاتي يشعرن برغبة جارفة نحو الرجال. إنّ النساء اللواتي هنّ جزء من المرأة ليس لديهنّ اهتمام بالرجال، بل يمتلكنَ موادّات أنثويّة؛ إنّ الرفيقات الأنثويات يكنّ من هذا النوع. لكنّ النساء اللواتي هنّ جزء من الذّكر يتبعن الذكر، وفي حين يكنّ فتيات، كونهنّ شرائح من الرجل الأصلي، ولديهنّ عاطفة نحو الرجال ويعانقْنَهم. وأمّا الرجال هؤلاء فإنّهم أفضل الأولاد والشباب لأنّهم ذوو الطبائع الأكثر رجولة. يؤكّد البعض أنّهم قليلو الحياء، لكنّ هذا التأكيد ليس صحيحاً لأنّهم لا يفعلون هكذا بسبب افتقارهم للخجل، بل لأنّهم جسورون وفيهم طبائع الرجولة، ويمتلكون محيّاً رجولياً، وهم يتشوقون لمن يكون مثلهم. وهؤلاء الرجال عندما يكبرون يصبحون رجال دولتنا،

وهؤلاء فقط. وهذا هو برهان كبير على حقيقة ما أقول. وعندما يصلون إلى سنّ الرجولة يحبون الفتيان، ولا يميلون للزّواج وإنجاب الأطفال بشكل طبيعيّ. وإذا كان ذلك على الإطلاق، فهم يقومون به طاعةً للعرف، والعادة فقط، لكنّهم يقنعون إذا ما أمكن السماح لهم أن يعيشوا مع بعضهم بعضاً بدون زواج. إنّ طبائع كهذه الطبائع تنزع لتحبّ، وهي على استعداد لأن تعبد الحبّ، محتضنة ذلك الذي يكون نسيباً لها وقريباً منها على الدوام وعندما يتقابل أحدهما مع نصفه الآخر، النصف الحقيقيّ نفسه، سواء إذا كان هو محبّاً للفتيان أو محبّاً للنوع الآخر، فإنّ الزوجين ينتابهما الذهول في الحبّ والصداقة والمودّة، ولن يريد أحدهما إلاّ أن يبقى قبالة الآخر، كما يمكنني أن أقول، حتّى للحظة واحدة. هؤلاء الأناس الذين يقضون حياتهم كلّها معاً، ومع ذلك فهم لا يقدرون على أن يوضحوا ماذا يرغبون من بعضهم بعض لأنّ الشوق والحنين الشديد الحادّ الذي يمتلكه كلٌّ منهما نحو الآخر لا يظهر على أنّه رغبة المحبّين في الجماع، لكنّ شيئاً ما مغايراً ترغبه روح كلّ منهم بوضوح لا تستطيع أن تُخبر عنه، والذي تملك بشأنه هاجساً أسود ومشكوكاً فيه. إفترض، يا هيفياستوس، أن تأتي إلى الزوجين بكيس أدواته، هذين الزوجين المتمدّدين جنباً إلى جنب وتقول لهما: « ماذا تريدان أيّها الفانيان من بعضكما البعض؟ » فهما لن يكونا قادرين على الإيضاح. وإفترض أبعد من ذلك، وهو أنّه عندما رأى ارتباكهما قال: « هل ترغبان أن تكونا واحداً بالكمال؛ وأن تكونا معاً ليلاً نهاراً في عشرة بعضكما بعضاً؟ إذ لو كان هذا ما ترغبان، فإنّي على استعداد لأن أصهركما وأذيبكما معاً، وهكذا ستصبحان واحداً بعد أن كنتما اثنين. وطالما تحييان فإنّكما ستحييان حياة عازبة كما لو كنتما رجلاً فرداً، وستبقيان روحاً واحدة مغادرة وليس روحين اثنين في العالم السفليّ بعد موتكما ـ إنّني أسأل ما إذا كان هذا

الذي ترغبانه بشوق وحبّ، أو ما إذا ما كنتما مقتنعَين لتنالاه؟ ». إن أياً من هذين الرجلين الإثنين حينما يسمع الاقتراح لن ينكر أو أنّه لن يعترف بأنّ هذا اللقاء أو الانصهار بعضهما في بعض، هذه الصيرورة في واحدٍ بدلاً من اثنين، لن يعترف بأنّ هذا كان التعبير الواضح عن حاجته القديمة[٢٠]. والسبب في ذلك هو أن الطبيعة الإنسانيّة كانت واحدة في الاصل وكنا نحن كُلاًّ؛ ودعيت الرغبة والملاحقة للكلّ حُبّاً. أقول؛ لقد مر زمن، عندما كنا واحداً، لكن الآن، وبسبب خبث الجنس البشريّ، فإنّ الله فرّقنا، مثلما تشتّت الأركاديون باللاقيدايمونيين إلى القرى. وإذا لم نُطِع الله، فهناك خطر من أنّنا سننشطر إلى نصفين مرّة ثانية ونطوف، مثل الصور الجانبيّة المنحوتة على النصب التذكارية التي تبين انشطار الأنف إلى النصف. وعندها سنكون شبيهين بالقصص. ولهذا السبب دعنا نحضّ كلّ الرجال على التقوى في كل أعمالهم، كي نتمكّن من تفادي الشرّ والحصول على الخير، مصطحبين الحبّ كقائد لنا وآمر. لا تدعوا أحداً يعاكسه ـ إنّ من يعانده هو عدو الآلهة، لأنّنا إذا كنا نحن أصدقاء الله وفي سلام معه، فإنّنا سنجد حبّنا الحقيقيّ، والذي نادراً ما يحدث في عالمنا المعاصر هذا. إنّني جدّيٌّ فيما أقوله وقلته، ولذلك يجب عليّ أن أستعطف أريكسيماخوس أن لا يهزأ بي، أو أن يجد أيّ تلميح ساخر فيما أقول كي يدلّ بوسانياس وأغاثون عليه، وهما ذوا طبيعة رجوليّة، كما أشتبه، ويخصّان النوع الذي قد وصفته. غير أنّ كلماتي تحتوي اجتهاداً أوسع ـ إنّها تتضمّن الرجال والنساء في كلّ مكان؛ وأعتقد إذا ما أُنجز حبّنا بشكل تامّ، وعاد كل منّا إلى طبيعته الأصليّة وإلى حبّه الحقيقيّ الأساسي، حينئذ فإنّ سلالتنا ستكون سعيدة. وإذا أريد لهذا الشيء أن يكون أفضل الأشياء جميعها، وَجَب أن يكون الأفضل في الدرجة التالية وفي الحالات الحاضرة الأكثر قرباً من اتّحاد كهذا؛ وسيكون

ذلك الحصول على الحبّ المتجانس روحاً ونزعة. ولهذا السبب، إذا كنا سنثني نحن على من أعطانا الفائدة، ينبغي علينا أن نمدح إله الحبّ الذي هو المحسن الأكبر لنا، وهو معيدنا إلى طبيعتنا الخاصّة في هذه الحياة، وواهبنا الآمال السامية بالمستقبل، لأنّه وعدنا إذا كنا أتقياء بَرَرَة بأنه سيعيدنا إلى حالتنا السابقة الأصليّة، وأنّه سيشفينا ويجعلنا سعداء ومباركين. هذا هو حديثي عن الحبّ، يا أريكسيماخوس، والذي هو غير الحديث الذي قدمته أنت. يلزمني أن ألتمس منك أن توقف هجومك العنيف برماح سخريتك، كي يتمكن كلٌّ منّا أن يتكلّم بدوره؛ كلّ منا، أو بالأحرى كلانا، لأنّ أغاثون وسقراط هما الوحيدان اللذان لم يتكلّما حتى الآن.

أريكسيماخوس: حقاً، إنّني لست على استعداد لأهاجمك، لأنني ظننت بأنّ حديثك مدهشٌ، وإنْ لم أعرف بأنّ أغاثون وسقراط هما السيدان في فنّ الحبّ، إن لم أعرف ذلك سأكون خائفاً من أنّه ليس لديهما أيّ شيء ليقولاه، بعد عالم الأشياء الذي قد قيل مسبقاً، لكنّني لست بدون آمال برغم كل ما حدث.

سقراط: إنّك لعبت دورك جيداً، يا أريكسيماخوس، لكنّني إذا كنت كما أنا الآن، أو على الأصحّ كما سأكون عند إضافة أغاثون حديثه لحديث آخر جميل،فإنّك سترتعب حقّاً ويتركك ذكاؤك حينئذ.

أغاثون: تريد أن ترميني بإنذارٍ منك، يا سقراط، على أمل أن يتمكّن الإحباط منّي فكراً وعزيمة، خاصّة أنّ الجمهور الحاضر يتوقّع مني حديثاً، وملؤه الثقة بي.

سقراط: إنّني سأنسى بغرابة، يا أغاثون، شجاعتك وقوّتك العقليّة التي أبديتها عندما كانت تآليفك الفكرية على وشك أن تُعرض، وصعدت على المسرح مع الممثلين وواجهت المدرّج الرحب غير آبهٍ بما حولك تماماً. أقول، إنّني سأنسى بغرابة كل ذلك، إذا افتكرت بأنّ أعصابك يمكن أن تضطّرب في حفلة صغيرة كهذه يقيمها أصدقاء.

أغاثون: هل تعتقد، يا سقراط، بأنّ رأسي، وقد ملأه ما حدث على المدرج، أغمض عيني عن حقيقة أن قلّةً من الرجال العقلاء هم أكثر إخافة لرجلٍ ذي إدراك من كثرةٍ أغبياء؟

سقراط: لا، يا أغاثون، سأكون مخطئاً جداً في نسبة ذلك لك، أو نسبة أيّ عوزٍ للإدراك؛ إنّني أعلم تماماً أنّه إذا حدث لك وتقابلت مع أيٍّ من الذين تصورت أنّهم حكماء، فإنّك سوف تهتمّ برأيهم أكثر ممّا تهتمّ برأي الكثرة. لكن بما أنّنا قد كنا جزءاً من الكثرة الغبيّة في المدرّج فلا يمكن اعتبارنا كالحكماء المختارين؛ وأظنّ أنّك إذا تصادف حضورك، ليس في مجلس واحد منّا، بل في مجلس إنسان حكيم ما بحقّ، فإنّك ستكون خجلاً إذا أحاق بك العار أمامه ـ ألن تكون كذلك؟

أغاثون: نعم.

سقراط: لكنّك لن تكون خجولاً أمام الكثرة، إذا ظننت بأنّك كنت فاعلاً شيئاً مخزياً.

هنا قاطعهما فايدروس، قائلاً: لا تُجِبه، يا عزيزي أغاثون، لأنّه إذا ما استطاع الحصول على شريك يقدر على أن يتكلّم معه، خاصّة إذا كانت سماته جميلة، فإنّه لن يهتمّ بما سيحدث بشأن إكمال ما تنوي القيام به بعد الآن. وبعدُ فإنّني أحبّ أن أسمعه يتكلّم؛ لكن في الوقت الحاضر يجب عليّ أن لا أنسى امتداح الحبّ الذي ينبغي أن أسمعه منه ومن كلّ شخص. يمكنكما أن تتكلّما بينما تدفع أنت تقدمتكما إلى الله من الإجلال والثناء.

اغاثون: جيّد جداً، يا فايدروس، إنّني لا أرى سبباً يمنعني من متابعة حديثي، ما دامت لديّ عدة مناسبات للتكلّم مع سقراط. دعني أقول كيف يلزمني أن أتحدّث.

تكَلّم أغاثون بعدئذ بما يلي: إنّ المتحدثين السابقين، بدلاً من أن يُثنوا على

الحبّ الإلٰه، وبدل الكشف عن طبيعته، يظهر أنّهم هنّؤوا الجنس البشريّ على المنافع التي يهبها لهم. لكنّني بالأحرى سأطري الله بادىء ذي بدء، وأتكلّم بعدئذ عن عطاياه. إنّ هذه الطريقة هي الطريقة الصحيحة للثناء على كلّ شيء بشكل دائم. هل يمكنني أن أقول بدون عقوق أو اعتداء إنّ الحبّ هو الإله الأكثر قداسة من بين الآلهة المباركة كلّهم لأنّه الأجمل والأفضل؟ وهو الأجمل، لأنّه الأفتى، في المقام الأوّل، وهو الشاهد بنفسه على فتوّته. إنّه هارب من طريق العمر، وهربه هرب سريعٌ بما فيه الكفاية، وهو الآتي لنا بسرعة حقّاً أكثر ممّا نحبّ ونرغب. إنّ الحبّ لديه كره طبيعي للعمر ولن يقترب منه؛ لكنّ الشباب والحبّ يعيشان ويمتلكان وجودهما معاً ـ الشبيه للشبيه، كما يقول المثل القديم. إنّ أشياء عديدة قيلت وحكاها فيدروس بشأن الحبّ، أتّفق معه فيها، لكنّني لا أستطيع أن أوافق على أنّه أكبر سنّاً من لابيتوس وكرونوس. ليس هكذا، بل أؤكّد أنّه الأفتى من كلّ الآلهة وهو الممتلىء شباباً أبداً. إنّ الأعمال الغابرة الموجودة بين الآلهة، والتي تكلّم عنها هيسيود وبارمنيدس، إذا كانت التعاليم عنها صحيحة، إنّما فُعِلت بالضرورة وليس بالحبّ. لو كان الحبّ في تلك الأيّام، لما وجدت عبودية تشويه للآلهة، ولا وجد أيّ عمل من أعمال العنف الأخرى؛ بل قد كان هناك سلام وعذوبة، كما يوجد الآن في السماء، منذ أن بدأ حكم قانون الحبّ. الحب إذن هو فتيّ وشابّ، وهو طريّ العود أيضاً، ويجب أن يكون له مشاعر كهوميروس كي يصف رقّته، وكما يقول هوميروس في آيِت أنّها إلٰهة وهي لطيفة، على الأقل فإن قدميها لطيفتان:

إنّ قدميها لطيفتان، لأنّها تضع خطواتها، ليس على الأرض بل على رؤوس الرجال.

هناك برهان ممتاز على لطفها في هذين السطرين، ذلك أنّها لا تسير على

الشيء القاسي بل على الشيء الناعم. دعنا نورد برهاناً مماثلاً على لطف الحبّ، لأنّه لا يسير على الأرض ولا حتى على جماجم الرجال التي ليست هكذا ليّنة جداً، بل إنّه يسير ويسري في قلوب وأرواح الآلهة والرّجال على حدّ سواء، وهذه هي ألْيَنُ الأشياء كلّها: فيها يسري الحبّ ويسكن ويقيم بيته. طبعاً، ليس في كل روحٍ بدون استثناء، لأنّه يغادر المكان الصلب، لكنّه يتّخذ له مسكناً حيث النعومة، ويأوي بقدميه على الدوام وبكلّ الوسائل المتّبعة في الأماكن الناعمة، بل في الأماكن الأكثر نعومة، وكيف يمكنه أن يكون غيراً من أكثر الاشياء رقّة ولطفاً؟ في الحقيقة أنّ الحبّ هو الألين كما أنّه الأفتى، وهو ذو شكل مرنٍ أيضاً لأنّه إذا كان صلباً وبدون قدرة على الانثناء فهو لا يستطيع أن يلتفّ ويطوق كلّ شيء وأن يشقّ طريقهُ ملتفّاً داخل وخارج روح كل إنسان بدون أن يُكتشف. والبرهانِ على مرونة وتناسق شكله هو رشاقته، تلك الرشاقة المعترف بها عالمياً أنّها تكون في نمطٍ خاصٍّ بالصّفة المميّزة للحبّ. إنّ الغلظة والحب هما في حربٍ أحدهما ضدّ الآخر على الدوام. ويُكشف الجمال لمظهر الحبّ العامّ بسكناه بين الزهور. فهو لا يقطن وسط مفاتن غير مزهرة أو ذابلة، سواء أكانت مفاتن للروح، للجسد، أو لأيّ شيء آخر، بل إنّه يقطن في المكان حيث الزهور والرياحين. هناك يجلس ويأوي. إنّني قلت كفاية فيما يختصّ بجمال الله؛ ومع ذلك يبقى ما لم أقله أكثر بكثير ممّا أستطيع قوله. سأتكلّم الآن عن فضيلة الحبّ: أمّا موضع اعتزازه الأكثر فهو أنّه يقدر على أن لا يفعل ولا يقاسي الأذى، إنّه لا يفعل الأذى لأيّ إلٰه أو إنسان، ولا يقاسيه منهما كذلك. فهو لا يعاني بالقوة، وإذا هو فعل - إنّ القوة لا تقترب منه - ولا حينما يقوم بأيّ فعل يقوم به بالقوة، لأن كل الرجال يخدمونه في كلّ شيء بإرادتهم الحرّة. وحيث يوجد اتفاق اختياري، يوجد العدل هناك، كما تقول النواميس التي

هي أسياد المدينة. وليس الحبّ عادلاً فقط بل إنّه معتدل إلى أبعد حد، لأنّ العدل هو الحاكم المعترف به للملذات والرغبات، ولا توجد لذّة تُخضع الحبّ قطّ؛ إنّه هو سيّدها وهي خادمته، وإذا ما قهرها وتغلّب عليها فينبغي أن يكون معتدلاً حقاً. أمّا فيما يتعلّق بالشجاعة فلا يقدر حتى إله الحرب، أن يقف ضدّه؛ إنّه هو الأسير والحبّ هو السيّد، لأنّ الحبّ، حبّ أفرودايت، يخضعه. وكما تجري الحكاية، فإنّ السيّد قوي أكثر من الخادم. وإذا تغلّب الحبّ وقهر الأشجع من كل الآخرين، فيجب أن يكون الأشجع. إنّني تكلّمت عن شجاعته وعدله واعتداله، لكن ينبغي عليّ أنْ أتكلّم عن حكمته بعد الآن؛ ويلزمني أن أحاول أن أرفع أوج موضوع بحثي طبقاً لمقياس قدرتي. إنّ الحبّ شاعر في المقام الأول « وهنا فإنّني أعظّم فنّي، كما فعل أريكسيماخوس ». والحب هو باعث الشعر في الآخرين أيضاً، ولا يمكنه فعل ذلك إذا لم يكن هو ذاته شاعراً، ويصبح كلّ شخص شاعراً بلمسة منه، « برغم أنّه لم تكن لديه قوة موسيقية من قبلُ[٢١] ». يمكننا أن نستشهد بهذا كبرهانٍ مناسب، وهو أنّ الحبّ شاعر جيّد. ولأقل باختصار، ضليع في كلّ الفنون الجميلة؛ إذ لا أحد يستطيع أن يعطي الآخرين ما لا يمتلكه هو نفسه، أو أن يعلّم ما ليس لديه معرفة به. ومن سينكر أنّ كلّ المخلوقات الحيّة هي من خلقه؟ أليست هي كلّها أعمال حكمته، وهو الذي أبدعها وأنجبها؟ أمّا بالنسبة إلى الفنانين، ألا نعرف نحن بأنّه هو الذي يمتلك حبّاً لمعلّمه ويظهره بريق الشّهرة؟ إنّ الذي يلامسه الحبّ لا يسير في الظلام. وفنونِ الطبّ والرمي بالسهام والألوهيّة اكتَشفها أبوللو تحتِ هداية الحبّ والرغبة؛ وهكذا فإنّه هو رفيق الحبّ أيضاً. وبشكل مماثل فإنّ فنون آلهة الشعر، علم المعادن لهيفياستوس، علم الحياكة لأثينا، وعلم الحكم لزيوس الذي يمارسه فوق الآلهة والرجال، إنّ هذه العلوم كلّها ناشئة عن تعليم

الحبّ. وهكذا فأنت ترى أنّ الحبّ ليس له امبراطورية الآلهة في نظام ـ حبّ الجمال، كما يكون جليّاً، لأنّ الحبّ ليس له أيّ اهتمام بالشوائب. في الأيام القديمة، كما ابتدأت قولي، ارتكبت أعمالٌ مخيفة بين الآلهة، لأنّهم كانوا محكومين بالضرورة؛ لكن الآن، ومنذ ولادة الحبّ، ومن حبّ الجمال انبعث كلّ خير في السماء وعلى الأرض. ولهذا السبب، يا فايدروس، أقول عن الحبّ إنّه الأول والأجمل والأفضل في نفسه، وبعدئذ فهو سبب ما يكون أفضل وأجمل في الأشياء كلّها. وهنا يجول في تفكيري مقطع شعري قيل فيه وعنه أنّه الإله الذي:

يعطي السلام على الأرض ويسكّن الأعماق العاصفة،

الذي يهدّىء الرياح ويأمر المعذبين أن يناموا.

إنّه هو الذي يُفرِغ الرجال من السخط ويملأهم بالشعور والعاطفة، وهو الذي يجعلهم يجتمعون معاً في اللقاءات مثل لقاءات التضحيات، والولائم، والرقص حيث يكون هو السيّد الذي يبعث البشاشة ويقصي الفظاظة، والذي يعطي العطف والشفقة أبداً ولا يهب القسوة على الإطلاق. إنّ الحبّ كيّس وخيّر، مدهش الحكماء، انشداه الآلهة؛ يرغبه أولئك الذين ليس لديهم حصّة فيه؛ مصدر الرقة، الترف، التمنّي، الوَلَع، النعومة، الرشاقة، يحترم الخير، يهمل الشرّ. إنه في كلّ كلمة، عملٌ، رغبةٌ، منقذٌ في الخوف، دليلٌ، رفيق، محاربٌ، مجدُ الآلهة والرجال، القائد الأفضل والأكثر فتنة وجمالاً، الذي على خطاه يجب أن يسير كل رجل، ويجب أن يغنّي بعذوبة في تكريمه مشتركاً في ذلك اللحن الرخيم الذي يَسحر به الحبّ أرواح الآلهة والرجال على السواء. ذلك هو خطابي، يا فايدروس، إن نصفه كلام مزاح، وبرغم ذلك فإنّ له مقداراً من الجديّة طبقاً لمقدرتي، وإنّني أكرّسه لله.

عندما أنهى أغاثون كلامه، قال أريسطوفان إنّ الهتاف له عمّ المكان. اعتقد

الجميع أنّ الرجل الشابّ تكلّم بأسلوب جدير به، وبإله الحبّ. ثمّ قال سقراط، بعد أن تطلّع إلى أريكسيماخوس: قل لي، يا ابن اكيومينوس، أليس هناك سبب لخوفي؟ أو لَمْ أكن أنا نبيّاً حينما قلت إنّ أغاثون سيؤلّف خطبة رائعة، وإنّني سأكون في ضيقٍ شديد.

أجابه أريكسيماخوس: إنّ الجزء الأول من النبوّة والذي يخصّ أغاثون. يبدو لي أنّه صادق؛ أما الجزء الذي تقول فيه بأنّك ستكون في ضيقٍ شديدٍ فليس كذلك.

قال سقراط: لماذا، يا صديقي العزيز أليسَ من سمِع حديثاً غنياً ومتنوعاً كهذا، يعتبر نفسه في عسرٍ شديد إذا كان عليه أن يتكلّم بعد ذلك سواء أكنت أنا أم غيري؟ إنّ أغاثون بلغ الذّروة في جمال الإلقاء وفي أسلوب الكلمات المستنتجة ـ مَنْ يقدر أن يستمع له بدون انذهال؟ عندما تأمّلتُ مليّاً ضعف شأن قوتي التي لا حدّ لها، كنت مستعدّاً لأن أولّي الأدبار من الخجل، لو كانت لديّ إمكانية للهرب. إنّني ذُكّرت بجورجياس، وظننت عند نهاية خطابه، من خوفي، أنّ أغاثون كان يهزّ في وجهي الرأس الجورجيانيّ لسيّد عظيم في علم الكلام، وأنّه كان سيحوّلني ويحوّل حديثي إلى حجرٍ بكلّ بساطة، وأن يصيبني بالبكم، كما يقول هوميروس[٢٢]. وأدركت حينئذ كم كنت غبيّاً في الموافقة على الاشتراك معكم في الثناء على الحبّ، وفي القول بأنّني كنت خبيراً فيه أيضاً، في حين أنه ليس لديّ أيّ تصوّر كيف ينبغي أن يُثنى على أيّ شيء مهما يكن. تخيّلت، لبساطتي، أنّ جوهر المدح يلزم أن يكون الحقيقة، وأن هذا كونه مفترضاً مقدّماً، فإنّ على المتكلّم أن يختار أفضل الموضوعات وإن يبيّنها في أفضل أسلوب. وشعرت بالكبرياء تماماً لاعتقادي أنّي عرفت الطبيعة الحقيقية لكلّ إطراء ومدح، وإنّني سأتكلّم جيّداً، في حين أنّني أرى الآن عكس ذلك، وأشعر أنّك لكي تؤدّي إجلالاً

في الثناء على أيّ شيء بجودة، يلزمك أن تخصّص له كل أنواع العظمة والتمجيد، بدون اعتبار للحقيقة أو للتزييف ـ إنّ ذلك لا يهمّ؛ يبدو وكأنّ الاقتراح الأساسيّ لم يكن ذلك، وهو أنّ كلاً منّا سيثني على الحبّ بحقّ وصدق، بل ينبغي فقط بأن نظهر كي نمدحه. وهكذا، فإنّني أقترح، أنّك خصّصت للحبّ كلّ شكل من أشكال الثناء الممكن تصوّره، الذي يُستطاع جمعه في أيّ مكان؛ وقلت أنت « إنّه هو كل شيء »، وإنه « السبب لكل ذلك »، جاعلاً إيّاه نموذجاً للجمال والامتياز لأولئك الذين لم يعرفوه، وعدّدت تسابيح نبيلة ومهيبة في المدح. لكن بما أنّني أسأت فهم طبيعة هذا المدح عندما قلت بأنّي سآخذ دوري في الحديث، فما يجب عليّ إلاّ أن ألتمس منك أن أكون في حلٍّ من الوعد الذي قطعته من الجهل. إنّه كان « كما سيقول الشاعر يوريبايدس »[٢٣] وغداً من الشفاه وليس من العقل. وداعاً إذن لهكذا إجهاد، فأنا لا أثني في تلك الطريقة؛ لا، حقاً، إنّني لا أستطيع القيام بذلك. لكنّك إذا أحببت أن تسمع الحقيقة بشأن الحبّ، يا فايدروس، فإنّي على استعدادٍ لأن أتكلّم بأسلوبي الخاصّ، ومع ذلك فلن أجعل نفسي مضحكاً بالدخول في أيّة منافسة معك. قل إذن إذا ما كنت ستحبّ أن تحوز الحقيقة بخصوص الحبّ، مقولة في أيّة كلمات وفي أيّ نظام يمكن أن يصدف، ويأتي إلى عقلي وفكري في هذا الوقت. فهل ستقبل ذلك؟

قال أريسطوديموس إنّ فايدروس والجماعة الموجودين قبلوا أن يتكلّم بأي أسلوب يعتقد أنّه الأسلوب الأفضل. أضاف سقراط قائلاً بعدئذ: دعني أحوز إذناً منكم بادىء ذي بدء لأسأل أغاثون أسئلة قليلة، كي أتمكّن من أخذ ما يقبل به وكأنه المقدّمات المنطقيّة لبحثي.

قال فايدروس: إنّني أمنحك الإذن، إطرح أسئلتك.

تقدّم سقراط بأسئلته كما يلي:

سقراط: أعتقد، يا عزيزي أغاثون، أنّك كنت محقّاً بدون ريب في خطبتك حينما اقترحت الكلام عن طبيعة الحبّ أوّلاً، وعن عمله بعد ذلك ـ إنّ هذه الطريقة للبدء في الكلام أصادق عليها كثيراً. وبما أنّك وضّحت طبيعته بهكذا بلاغة جليلة، هل يمكنني أن أسألك سؤالاً أبعد وهو إذا ما كان الحبّ بطبيعته حبّ شيء ما أو حبّ لا شيء؟ وهنا عليّ أن أوضح ما أعنيه: إنّني لا أريد منك أن تقول بأنّ الحبّ يكون حبّ أبٍ أو حبّ أمّ ـ إنّ هذا التعبير سيكون تعبيراً مضحكاً؛ بل كي تجيب كما إذا سألتك، هل يكون الأب أباً لشيء ما؟ ولن تجد صعوبة في الإجابة على هذا السؤال، إنّه أبٌ لابن أو لبنت وسيكون هذا الجواب جواباً صحيحاً.

أغاثون: حقيقي جداً.

سقراط: وستقول الشيء عينه عن الأمّ؟

أغاثون: أوافق.

سقراط: ومع ذلك دعني أسألك سؤالاً أبعد كي أصوّر معناي؛ ألا يُعتبر الأخ أخاً لشيء ما بالضرورة؟

أغاثون: بالتأكيد.

سقراط: ذلك أنّه أخ لأخ أو لأخت؟

أغاثون: نعم.

سقراط: وبعدُ، فإنّني سأسألك سؤالاً بشأن الحبّ: ـ أيكون الحبّ حبّاً لشيء ما أو للا شيء؟

أغاثون: لشيء ما، بكلّ تأكيد.

سقراط: تذكّر هذا، وأخبرني ما أريد أن أعرف ـ وهو إذا ما كان يرغب الحبّ ذلك الذي هو الحبّ.

أغاثون: نعم، بكلّ تأكيد.

سقراط: وهل يمتلك، أو لا يمتلك، ذلك الذي يحبّه ويرغبه؟

أغاثون: عليّ أن أقول، لا على الأرجح.

سقراط: لا، إنّني سأريدك أن تتأمّل ملياً إذا كانت الكلمة « بالضرورة » على الأصحّ. إنّ الاستنتاج معناه أنّ مَن يرغب شيئاً ما يكون مفتقراً لذلك الشيء، وأنّ من لا يتوق لشيء لا يكون في عَوَزٍ له. إنّ هذا الاستنتاج هو استنتاج حقيقي بالكلية وبالضرورة في حكمي، يا أغاثون. فماذا تعتقد؟

أغاثون: أتّفق معك.

سقراط: جيّد جدّاً. هل يرغب مَن يكون عظيماً، بأن يكون عظيماً، أو مَن يكون قوياً، بأن يكون قوياً؟

أغاثون: إنّ ذلك سيكون غير منسجم مع اعترافاتنا السابقة.

سقراط: صدقاً، لأنّ مَن يمتلك تلك النوعيات لا يمكنه أن يكون مفتقراً لها؟

أغاثون: حقيقيّ تماماً.

سقراط: إفترض أنّ رجلاً كونُه قويّاً رغب في أن يكون قويّاً، أو كونه سريعاً في أن يكون سريعاً، أو كونه معافىً رغب في أن يكون معافىً، ـ بما أنّه يمكن أن يُظنّ في تلك الحالة أنّه يتمنّى شيئاً يمتلكه أو يكون في حوزته، إنّي أشير إلى النقطة الأساسيّة كي يمكننا أن لا نضلّ في بحثنا ضلالاً مبيناً ـ سنرى بمجرّد التأمّل ملياً أنّ مالكي هذه النوعيات ينبغي أنهم حازوا على منافعها الخاصّة في ذلك الوقت، سواء إذا اختاروا هذا الشيء أم لم يختاروه؛ ومَنْ يستطيع أن يرغب أو يتمنّى ذلك الذي يمتلكه؟ لهذا السبب، عندما يقول قائل، إنّني جيد وأرغب في أن أكون جيّداً، أو إنّني غنيٌّ وأتمنّى أن أكون غنيّاً، وإنّني أتوق لامتلاك ما هو في حوزتي بالضبط ـ سنجيبه: « أنت، يا صديقي، بما أنّ لديك الغنى والصحّة والقوة، فأنت تريد استمراريّتها؛ إذ في هذه اللّحظة، سواء تختار تلك أو لا تختارها، فأنت تمتلكها وهي في

حوزتك. وعندما تقول، إنّني أرغب ذلك الذي أمتلكه ولا أرغب شيئاً آخر، ألا يكون معناك أنك تريد أن تحوز في المستقبل على ما هو لديك وملكك في الحاضر»؟ يجب أن يتّفق معنا فيما نقول، ألا يلزمه أن يفعل ذلك؟

أغاثون: يلزمه أن يفعل ذلك.

سقراط: هو يرغب إذن ذلك الذي يمتلكه في الوقت الحاضر كي يمكن أن يكون محفوظاً له ومصاناً في المستقبل، والذي يساوي القول أنّه يتمنى شيئاً ما لا يمتلكه لم يحصل عليه حتّى الآن؟

أغاثون: حقيقي جداً.

سقراط: إذن، دعنا الآن نلخص المحاورة. أليس الحبّ حبّاً لشيء ما بادىء ذي بدء، وشيئاً ما يفتقر له الإنسان أيضاً؟

أغاثون: نعم.

سقراط: تذكّر ما قلته في حديثك أيضاً، أو إذا أحببت فإنّني سأفعل ذلك: قلتَ إنّ الحبّ للجمال وضع امبراطورية الآلهة في نظام لأنّه لا يوجد حبّ في الأشياء المشوّهة ـ ألم تقل شيئاً من هذا النوع؟

أغاثون: نعم.

سقراط: نعم، يا صديقي، وكان التعليق محقّاً تماماً. وإذا كان هذا صحيحاً، فإنّ الحبّ هو حبّ الجمال وليس التشويه؟

أغاثون: إنّني أوافق.

سقراط: ولقد تمّ الاعتراف مسبقاً بأنّ الحبّ يكون حبّاً لشيء يحتاجه الشخص ولا يمتلكه؟

أغاثون: حقاً.

سقراط: يفتقر الحبّ إذن إلى الجمال ولا يمتلكه؟

أغاثون: بدون ريب.

سقراط: وهل ستسمّي ذلك الذي يعوزه الجمال ولا يمتلكه بأيه طريقة، هل ستسميه جميلاً؟

أغاثون: لا بالتأكيد.

سقراط: إذن، أما زلت تقول إنّ الحبّ هو جميل؟

أغاثون: أخشى أنّني قلت ما قلته بدون فهم.

سقراط: حقاً، إنّك ألّفت خطاباً جيّداً جدّاً، يا أغاثون؛ لكن لا يزال هناك سؤال صغير واحد برغم ذلك وهو الذي أحبّ أن أسأله بكلّ سرور: ـ أليس الخيِّر هو الجميل أيضاً؟

أغاثون: نعم.

سقراط: الحبّ إذن في افتقارة للجميل، يفتقر إلى الخيِّر أيضاً[٢٤]؟

أغاثون: إنّني لا أستطيع أن أنقضك، يا سقراط ـ ليكن كما تقول.

سقراط: قل على الأصحّ، يا عزيزي أغاثون، إنّك لا تقدر على أن تنقض الحقيقة لأنّ سقراط يُنقض بسهولة.

وبعدُ، بما أنّني سأتركك، فإنّني سأكرّر قصّة الحبّ التي سمعتها من ديوتيما من مانتيني. إنّها امرأة حكيمة في هذا وفي أنواع متعدّدة أخرى من أنواع المعرفة، وهي التي أعاقت المرض عشر سنين في الأيام القديمة، عندما قدّم الأثينيون تضحية قبل أن يحلّ بهم مرض الطاعون. إن ديوتيما كانت معلّمتي في فنّ الحبّ، وسأحاول بأفضل ما أستطيع أن أعيد لكم ما قالته لي، مبتدئاً من الفرضيّات التي اتّفقت وأغاثون عليها؛ سأفعل أفضل ما أقدر عليه بدون أيّة مساعدة[٢٥]. كما اقترحتَ أنت، يا أغاثون، إنّه لمناسب أن نتكلّم أولاً عن تكوين وطبيعة الحبّ، ومن ثمّ عن عمله. « أتصوّر بأنّه سيكون من الأسهل لي إذا إتّبعت في إعادة سردي لمحادثتي مع المرأة الحكيمة، طريقتها الحقيقيّة للسؤال والجواب ». قلت لها أوّلاً بالكلمات عينها

تقريباً التي استعملها معي أغاثون، قلت بأنّ الحبّ كان إلهاً جباراً، وأنّه جميل بشكل مماثل. وهي برهنت لي، كما برهنت أنا لها، أنّ الحبّ لم يكن جميلاً ولا خيّراً بما بيّنتُهُ. « ماذا تعنين، يا ديوتيما » قلتُ لها، « هل الحبّ إذن شر وشناعة؟ » « صه » صرخت هي؛ « أيجب أن يكون شنيعاً ذلك الذي لا يكون جميلاً »؟ « بدون ريب » قلت أنا. « وهل يكون جاهلاً الذي لا يكون عاقلاً؟ ألا ترى أنتَ أن هناك شيئاً وسطاً بين الحكمة والجهل؟ ». « وماذا يمكن أن يكون ذلك؟ » قلتُ أنا. « الرأي الحقّ »، أجابت هي؛ « الذي كما تعرف، بما أنه غير قادر على إعطاء سبب، فليس معرفة »، « إذ كيف تستطيع المعرفة أن تكون خلواً من السبب؟ » ولا الجهل مرّة ثانية « وكذلك لا يقدر الجهل أن يصل إلى الحقيقة »، بل يكون شيئاً ما وسطاً بين الجهل والحكمة بوضوح. « حقيقيّ تماماً » أجبتُ أنا، « لا تُصرّ إذن » قالت هي « على أنّ الذي لا يكون جميلاً وخيّراً فهو لذلك شناعة وشرّ، لأنّه يكون وسطاً بينهما ». « حسناً »، قلت أنا، « الحبّ يعترف به الجميع أنّه إله عظيم ». قالت: « بأولئك الذي يعرفون أو بأولئك الذين لا يعرفون؟ » أجبتها: « بالجميع ». « وكيف، يا سقراط » قالتها بابتسامة « كيف يستطيع الحبّ أن يحصل على الاعتراف بأنّه إله عظيم من قِبَل أولئك الذين يقولون إنّه ليس إلهاً على الإطلاق؟» « ومَن هم؟ » قلت أنا، « أنت وأنا اثنان منهم »، أجابت هي. « كيف يمكن أن يكون هذا؟ » قلت أنا، « إنّ ذلك مفهوم تماماً »، أجابت هي، « لأنّك أنت نفسك سوف تعترف أنّ الآلهة هم سعداء وجميلون ـ طبعاً ستفعل ذلك ـ هل ستجرؤ على القول بأنّ أيّ إله لم يكن هكذا؟»، « لا بالتأكيد »، أجبتُ أنا، « وتعني أنت بالسعداء، أولئك الذين يمتلكون أشياء خيّرة وجميلة؟ ». « نعم ». « واعترفتَ أنت أنّ الحبّ، لأنه كان في عَوَزٍ، يرغب تلك الأشياء الخيّرة

والجميلة التي يفتقر إليها؟ ». « نعم، إنّني فعلت ». « لكن كيف يمكن أن يكون إلهاً ذلك الذي لا يمتلك حصّة في الذي هو خيِّر وجميل؟ ». « مستحيل ». « ألا ترى أنتَ إذن أنّك تنكر ألوهية الحبّ أيضاً »؟ سألت « ماذا يكون الحبّ؟ » سألت أنا؛ « هل يكون فانياً؟ ». « لا » « ماذا إذن؟ ». « كما في المثال السابق كذلك الآن، إنّه ليس بفانٍ ولا خالد، بل في توسّطٍ بين الاثنين ». « ما هو، يا ديوتيما؟ » « إنه نفسٌ عظيمة»، « وهو مثل كلّ النفوس يكون توسّطاً بين الإلهي والفاني ». « وما هي قوته؟ » قلت أنا. « إنّه يؤوِّل بين الألهة والرجال، ناقلاً ومعيداً صلوات وتضحيات الرجال إلى الآلهة، وإلى الرجال أوامر الآلهة والمنافع بالمقابل، إنّه الوسيط الذي يمتدّ فوق الهوّة التي تفصل بينهم، ولهذا السبب فإنّ العالم كلّه مرتبطٍ به معاً، ومن خلاله وبواسطته تجد فنون النبيّ والكاهن، تضحياتهم وأسرارهم المحفوفة بالغموض، تجد بواسطته طريقها. إنّ الله لا يختلط مع الإنسان؛ بل بواسطة الحبّ يستمرّ كلّ اتصال، وكذلك حديث الآلهة مع الرجال، سواء أكانوا قعوداً أو نياماً. إنّ الحكمة التي تفهم هذا الشيء هي حكمة روحانيّة؛ وكل حكمة أخرى، مثل تلك التي للفنون والأشغال اليدويّة هي دنيئة ومبتذلة. وبعدُ فإنّ هذه النفوس أو القوى المتوسّطة عديدة ومختلفة، والحبّ واحدٌ منها ». « ومن هو أبوه ومن هي أمه؟ » قلت أنا. « القصة » قالت هي، « ستستغرق وقتاً لسردها؛ وسأخبرك إيّاها بالرّغم من ذلك. في اليوم الذي وُلدت فيه أفروديت أُقيمت وليمة للآلهة كلّهم، وكان من بينهم الإله بوروس أو الوفرة، الذي هو ابن ميتيس أوَ الحكمة. وعندما انتهت الوليمة، فإن بينيا أو الفقر وقفت على الأبواب كي تستعطي، كما هي العادة في مناسبات كهذه. والآن فإنّ الوفرة الذي كان الأسوأ لناكتار « لم يوجد نبيذ في تلك الأيّام »، ذهب إلى حديقة زيوس واستسلم لنوم عميق؛ وبما أنّ

الفقر اعتبرت أنّه لم يوجد عندها وفرة، تآمرت على أن تنجب طفلاً منه. وبناء على ذلك اضطجعت بجنبه وحملت منه، لأنّه محبٌّ للجميل بشكل طبيعيّ وجزئيّاً، ولأن أفروذايت هي ذاتها جميلة، وبسبب أنّ مولودها وُلد أثناء الاحتفال بوليمة ولادتها أيضاً، ويكون رفيقها وخادمها وكما هو أصله، هكذا هي حظوظه أيضاً. إنّه فقير على الدوام في المقام الأول، وهو أيّ شيء سوى الرقّة والجمال، كما يتصوّره العديدون؛ وهو خشن وزَرِيٌّ وليس لديه حذاءٌ ينتعله، أو بيت يأوي إليه. إنّه يتمدّد على الأرض العارية مكشوفاً تحت السماء، في الشوارع، أو عند أبواب البيوت. هناك يرتاح، وهو مثل أمّه في كرب وضيق على الدوام. وهو مثل أبيه أيضاً، يشبهه بشكل جزئيٌّ كذلك. إنّه متآمر ضدّ الجميل والخيِّر بشكل دائم. إنّه جسور، مقدام، قويّ، صيّاد جبّار، محيك لخدعةٍ ما أو لأخرى على الدوام، حاذق في تعقّبه للحكمة، خصب في الموارد، فيلسوف في كل الأوقات، رهيب كعرّاف، ساحر، سوفسطائيّ. إنّه يكون بالطبيعة لا فانياً ولا خالداً، بل حيٌّ ومزدهر في لحظة عندما يكون في وفرة، وميّت في لحظة أخرى في اليوم عينه، ومحيًّياً مرة ثانية بسبب طبيعة أبيه. لكنّ ذلك الذي يتدفّق إلى الداخل دائماً يتدفق إلى الخارج على الدوام، وهكذا فإنّه ليس في عَوَزٍ قط ولا في غنى أبداً؛ وأبعد من ذلك، فإنّه يكون وسطاً بين الجهل والمعرفة. إنّ حقيقية المسألة هي هكذا: لا إله يكون فيلسوفاً أو طالب حكمة، لأنّه حكيم من قبلُ. لا، ولا يطلب الجهلة الحكمة، وهنا يكمن شرّ الجهل، وشرُّه أنّ الإنسان الذي لا يكون شريفاً ولا حكيماً يقتنع بنفسه وبما لديه بالرغم من هذا. « لا رغبة حيث لا شعور بالحاجة ». سألتها: « لكن من هو الحكيم إذن، يا ديوتيما؟ من هم محبّو الحكمة، إذا لم يكونوا الحكماء ولا الأغبياء؟ » أجابت. « طفل يمكنه أن يجيب على ذلك السؤال، إنّهم أولئك

الذين يكونون في وسط بين الأثنين؛ الحبّ هو واحد منهم. إنّ الحكمة هي الشيء الأكثر جمالاً، ويكون الحبّ للجمال؛ ولهذا السبب فإنّ الحبّ هو فيلسوف أو محبّ للحكمة، وكونه محبّاً للحكمة يكون في وسط بين العاقل والجاهل. ولهذا، فإنّ ولادته هي السبب أيضاً في ذلك؛ فأبوه غنيٌّ وحكيم، وأمّه فقيرة وغبيّة. تلك هي طبيعة ونفس الحبّ، يا عزيزي سقراط. إنّ خطأك في تصوّره كان خطأ طبيعيّاً جدّاً. أَستنتج ممّا قلته أنت نفسك أنّه نشأ لأنّك اعتقدت بأنّ الحبّ هو ذلك الذي يُحَبُّ وليس ذلك الذي يُحِبّ. وإنّني لهذا السبب أعتقد أنّ الحب يظهر لك أنّه جميل، بشكل سام. إنّ المحبوب هو الجميل الحقيقيّ، وهو مرهف، كامل، ومبارك؛ لكنّ المبدأ الفعليّ للحبّ هو من طبيعة مختلفة وهو كما وصفته ».

قلت لها: « أوه أيّتها المرأة الغريبة، إنّ ما قلتِهِ جيّدٌ؛ لكن لنفترض أنّ الحبّ يكون كما ترتئين، فما هي فائدته للرجال؟ ». أجابت: « سأحاول كشف ذلك، يا سقراط. إنّني تكلّمت مسبقاً عن طبيعته وولادته، وتعترف أنت بأنّ الحبّ هو حبّ الجميل. لكن شخصاً ما سيقول: ماذا يكمن في الحبّ، يا سقراط وديوتيما؟ ـ أو على الأصح دعني أطرح السؤال بشكل أوضح، وأقول: عندما يحبُّ إنسان الجميل، فماذا يرغب حبّه »؟ أجبتها: « إنّ الجميل يمكن أن يكون الجميل له ». قالت: « يبقى، أنّ الجواب يوحي بسؤال أبعد: ما الذي يُعطى بامتلاك الجمال »؟ أجبتها: « إنّ السؤال الذي طرحتِه ليس لديّ جواب جاهز له ». قالت: « دعني أضع الكلمة « خير » في مكان الجميل، وأكرّر السؤال مرّة ثانية: إذا كان هو الذي يحبّ الخير، فما هو الذي يحبه حينئذ »؟ « امتلاك الخير ». « وماذا يربح الذي يمتلك الخير »؟ « السعادة » أجبتها أنا؛ « هناك صعوبة أقلّ في الإجابة على ذلك السؤال ». قالت: « نعم، إنّ السعداء، يُجعلون سعداء باكتساب الأشياء

الخيِّرة، ولا توجد أيّة حاجة لتسأل لماذا يرغب إنسان السعادة؛ إنّ الإجابة على هذا السؤال تصبح واضحة الآن ». قلت لها: « إنّكِ لمحقّة، يا ديوتيما ». أجابت: « وهل يكون هذا التمنّي وهذه الرغبة مشتركة بالجميع وللجميع؟ وهل يتوق الرجال جميعهم لشوقها الخاصّ بها على الدوام، أو لبعضه فقط؟ فماذا تقول، يا سقراط »؟ أجبتها: « كلّ الرجال يتوقون لذلك، إنّ الرغبة يشترك فيها الجميع ». ردَّت هي: « لماذا لا يكون كل الرجال إذن، يا سقراط، مشيرين إلى الحبّ، بل لبعضهم بعض فقط؟ في حين تقول أنت إنّ كلّ الرجال يحبّون الاشياء عينها على الدوام ». قلت لها: « إنّني أنا نفسي أتعجب، لماذا يكون هذا »؟ أجابت هي: « لا يوجد شيء لتنشده فيه، والسبب هو أن جزءاً واحداً من الحبّ يكون منفصلاً ويتلقّى الإسم من الجميع، لكنّ الأقسام الأخرى لها أسماء مغايرة ». قلت لها: « اعطيني توضيحاً ». أجابتني كما يلي: « كما تعرف هناك فاعليّة إبداعيّة، معقّدة ومتعدّدة. ذلك كلّه بسبّب الانتقال من اللاّوجود إلى الوجود الذي يكون « شعراً » أو خلقاً، والعمليّات لكلّ الفنون هي عمليّات إبداعيّة، وأسياد الفنون هم كلّهم شعراء أو مبدعون ». أجبتها: « جيّد جداً ». استطردت قائلة: « يبقى، أنت تعلم أنّهم لا يُسمَّون شعراء، بل لهم أسماء أخرى؛ إنّ ذلك الجزء من الفاعلية الإبداعيّة فقط الذي يكون مفصولاً عن الباقي والذي يختصّ بعلم الموسيقى ووزن الألحان، إن ذلك الجزء يدعى بإسم الكل ويسمّى قصيدة، وأولئك الذين يمتلكون قصائد في هذا المعنى للكلمة يُسمَّون شعراء ». قلت لها: « حقيقي تماماً ». واصلت تقول: « ويثبت الشيء عينه عن الحبّ. لأنّه لا يمكنك أن تقول بشكل عامّ إنّ كلّ رغبة بالخير والسعادة تكون القوة الحاذقة والعظيمة للحبّ؛ لكنّهم هم الذين يُجذبون نحوه بأيّ مسلكٍ آخر سواء إذا كان طريق جمع المال أو الألعاب الرياضية أو علم

الفلسفة. إنّ كل هؤلاء لا يُدعون محبّين: إنّ الإسم للكلّ يكون مناسباً لأولئك الذين تأخذ رغبتهم شكلاً واحداً فقط ـ وهم وحدهم يقال إنّهم يحبّون، أو أن يكونوا محبّين ». أجبتها: « أجرؤ على القول، بأنّك على حقّ ». أضافت تقول: « نعم، وأنت تسمع النّاس يقولون إنّ المحبين يبحثون عن نصفهم الآخر ويتوقون إليه؛ لكنّني أقول إنّهم لا يبحثون عن نصف أنفسهم ولا عن الكلّ، ما لم يكن النصف أو الكلّ خيّراً أيضاً؛ الرجال سيقطعون أيديهم وأقدامهم ويرمونها بعيداً، إذا اعتقدوا أنها شرّ. أتصوّر، أن كلاً منهم لا يلتصق بالذي يخصّه، إلاّ إذا وُجد شخص ما بالصدفة يُسمّي ذلك الذي يخصّه الخير، وما يخصّ الآخر الشرّ، إذ لا شيء يحبّه الرجال سوى الخير. هل هناك أي شيء آخر »؟ أجبتها: « بالتأكيد. عليّ أن أقول، إنّه لا يوجد أيّ شيء آخر ». قالت: « إذن، فإنّ الحقيقة البسيطة هي، أنّ الرجال يحبون الخير ». أجبتها: « نعم ». استطردت قائلة: « يجب أن يضاف لذلك أنّهم يحبّون امتلاك الخير ». أجبتها: « نعم، ينبغي أن يضاف ذلك ». وواصلت تقول: « وليس امتلاك الخير فقط، بل امتلاك الخير أبديّاً ». أجبتها: « يلزم أن يضاف هذا أيضاً ». قالت: « يمكن وصف الحبّ إذن بشكل عامّ كأنّه الحبّ الأبديّ السرمديّ لامتلاك الخير ». أجبتها: « إنّ ذلك هو الأكثر حقيقة ».

واصلت هي قائلة: « إذا كانت هذه هي طبيعة الحبّ على الدوام، هل تستطيع أن تخبرني، بالإضافة إلى ذلك، ما هو نهج أو سلوك هذه الملاحقة؟ ماذا يفعل أولئك الذين يُبدون كلّ هذا الشّغف والحرارة التي تدعى الحبّ؟ وما هو الهدف الذي يمتلكونه في فكرتهم؟ أجبني، يا سقراط ». قلت لها: « لا، يا ديوتيما، إذا عرفت ذلك فلن أكون متسائلاً عن حكمتك، ولا كان يلزمني أن آتي إليك لأتعلّم منك بشأن هذه المسألة بالذات ». أجابتني:

« حسناً، إنّني سأعلّمك. إنّ الهدف الماثل في فكرتهم هو الولادة في الجمال، سواء إذا كانت الولادة في الروح أو الجسد ». قلت لها: « إنّي لا أفهمك، إنّ الوحي يحتاج إلى إيضاح ». أجابتني: « سأجعل معناي أوضح، أعني، أنّ الرجال كلّهم يكونون مُحْضَرِين إلى الولادة في أجسامهم وفي أرواحهم. هناك العُمُر الذي تكون الطبيعة الإنسانية فيه راغبة في الإنجاب ـ الولادة الّتي يجب أن تكون في الجمال وليس في التشوّه. إنّ اتّحاد الرجل والمرأة هو إنجابٌ. وهو شيء إلٰهي، لأنّ الحمل والتوليد هما مبدآن خالدان في المخلوق الفاني، ولا يمكنهما أن يكونا في اللامتناسق على الإطلاق. لكنّ المشوّه يكون لا متناسقاً مع كل ما هو إلهي، ومع الجميل المتناسق. الجمال إذن، هو القضاء والقَدَر أو الإلهة أو المخاض الذي يترأّس على الحبّ. ولهذا السبب، فإنّ قوة الإنجاب تكون ملائمة، عند اقتراب الجمال، وهي غالية، وكريمة، وتحمل وتنجب ثماراً، لكنّها تعبس وتنكمش عند رؤية القبح، وتتملّكها حاسّة ألم، وتنصرف، وتضمر، وتمتنع عن الإنجاب لكن ليس بدون ألمٍ حادٍّ مفاجىء. والسّبب أنّه عندما تحين ساعة الإنجاب، وتكون طبيعة الحمل ممتلئة، يوجد هكذا انفعال ونشوة بشأن الجمال الذي يكون اقترابه سبب تلطيف العذاب وألمه المرّ. إنّ الحبّ، يا سقراط، ليس كما تتخيّل، حبّ الجمال فقط ». سألتُها: « ما هو إذن »؟ أجابت: « إنّه حبّ النشوة والولادة في الحبّ ». قلت لها: «نعم، نعم حقاً ». استطردت تقول: « لكنْ لماذا النشوء؟ لأنّ النشوء هو نوع من الخلود والبقاء للمخلوق الفاني، وإذا كان الحبّ امتلاك الخلود سرمديّاً، كما قد تمّ الاعتراف بهذا سابقاً، فإنّ كلّ الرجال سيرغبون الخلود مع الخير بالضرورة؛ لذلك يتبع أنّ الحبّ يجب أن يكون حباً للخلود ».

إنّ ديوتيما علّمتني كلّ هذا في أوقات مختلفة حينما تكلّمت عن الحبّ.

وتذكّرتها مرّة تقول: « ما هو سبب الحبّ، يا سقراط، وما هي الرغبة الناشئة عنه؟ ألا ترى أنت كيف أنّ كلّ الحيوانات، الطيور كما البهائم، هي في صراع عنيف، لرغبتها في الإنجاب عندما تصاب بعدوى الحبّ، الذي يبدأ بالتّوق للاتّحاد ويمرّ في العناية بالنسل، حيث الأضعف جاهز كي يحارب الأقوى من أجله بأقصى قوّته، ولأن يموت دفاعاً عنه كذلك. وستدع هذه الحيوانات أنفسها تُعذَّب جوعاً، أو أنّها ستقدّم أيّة تضحية أخرى كي تبقي على صغارها. ولا شكّ أنّ الإنسان يفعل ذلك لسبب عقلاني، لكن لِمَ ينبغي أن تمتلك الحيوانات هذا الشعور العاطفيّ؟ هل تستطيع أن تخبرني لماذا؟ ». أجبتها، مرّةً ثانية، بأنّني لا أعرف. قالت لي: « وهل تتوقّع أن تصبح سيّداً في فنّ الحبّ، إنْ لم تعرف هذا؟ ». « لكنّني أخبرتُكِ مسبقاً يا ديوتيما، أنّ جهلي هذا هو السبب الذي من أجله أتيتُ إليكِ، فأنا واعٍ بأنّي أريد معلّماً. قولي لي إذن السّبب لهذا ولأسرار الحبّ الأخرى ». قالت: « لا تتعجّب إذا اعتقدت بأنّ الحبّ حبّ الخلود، كما اعترفنا بذلك مرّات عديدة لأنّه هنا مرة ثانية، وعلى المبدأ عينه أيضاً، تنشد الطبيعة الفانية لأن تكون سرمديّة وخالدة قدر الإمكان. وهذا يمكن الوصول إليه بالنشوء أو التولّد، لأنّ النشوء يترك خلفه وجوداً جديداً ومختلفاً في المكان القديم على الدوام. ليس هذا فحسب، حتّى أنّ هناك تتابعاً في حياة الفرد ذاته وليس هناك اتّساق كلّيّ: يدعى إنسان الشيء نفسه، وعلاوة على ذلك، فإنّه يكون في الفاصل الزمنيّ بين الشباب والشيخوخة، الذي يقال إنّ كلّ حيوان يمتلك خلالهما حياة وذاتيّة، وهو يجتاز عمليّة مستمرّة للخسارة والتعويض: شعره، لحمه، عظامه، دمه، وجسمه بكامله متغيّر على الدوام. وليس هذا حقيقيّاً عن الجسد فقط، بل عن الروح أيضاً، التي لا تبقى عاداتها، مزاجاتها، آراؤها، رغباتها، ملذّاتها، آلامها، مخاوفها، لا تبقى كما

هي في أيّ واحد فينا، بل هي آتية وذاهبة باستمرار. وما يبقى أكثر انشداهاً، يكون أكثر حقيقةً عن العلم بشكل متساوٍ. إنّ بعض العلوم لا تأتي إلى الحياة في عقولنا فقط، وتضمحلّ الأخرى. هكذا فإنّنا نحن لسنا الشيء عينه أبداً في اعتبارها أيضاً، بل إنّ المصير عينه يحدث لكلٍّ منها على انفراد. إذ ماذا يُفهم ضمنيّاً في الكلمة « التذكّر »، سوى مغادرة المعرفة، تلك المعرفة التي تكون منسيّةً أبداً، وهي تُجدَّد وتُصان بالتذكّر، وتظهر لتكون الشيء عينه مع أنّها جديدة في الحقيقة، طبقاً لذلك القانون الذي تُحفظ بواسطته كلّ الأشياء الفانية، ليس بالشيء عينه بشكل مطلق، بل بالتبديل. إنّ الفنائيّة القديمة الرنّة تترك خلفها وجوداً آخر جديداً ومتشابهاً ـ وهذا الوجود غير شبيه بالإلهي الذي يكون كلاًّ والشيء عينه سرمديّاً. وفي هذه الطريقة، يا سقراط، يشترك الجسد الفاني، أو أيّ شيء آخر فانٍ، يشترك في الخلود؛ لكنّه الخلود بطريقة أخرى. لا تنشده إذن في الحبّ الذي يمتلك كلّ الرجال نسلهم بواسطته؛ لأنّ ذلك الحبّ العالميّ والولوع يكون من أجل الخلود ».

أذهلتني كلماتها، وقلت لها: « أيكون هذا حقيقيّاً، أوه يا ديوتيما الأكثر حكمة »؟ وأجابتني هي بكل القوّة المقنعة لسوفسطائيّ بارع وقالت: « يمكنك أن تتأكّد من ذلك، يا سقراط. فكّر فقط في طموح الرجال، ولسوف تتعجّب من طرائقهم التي يتبعونها والّتي لا معنى لها. تأمّل مليّاً كيف أنّهم يهيّجهم حبّ الشهرة المتّقدّ. هُمُ جاهزون كي يجازفوا بأنفسهم ويقطعوا كلّ المسالك الوعرة، حتّى أصعب من تلك التي سيخوضونها من أجل أطفالهم، وهم مستعدّون كي يغدقوا المال ويتحمّلوا أيّ نوع من أنواع الكدح والعناء، وحتى الموت لأنّهم إذا فعلوا ذلك فسيتركون خلفهم إسماً خالداً. هل تتصوّر أنّ ألكستيس كان سيموت لينقذ أدميتوس، أو أنّ أخيل

كان سيثأر لباتروكلس، أو أنّ كودروس الذي يخصّك فعل ما فعله كي يصون مملكة أولاده ويحفظها؟ هل تعتقد أنّهم كانوا سيفعلون ذلك، إذا لم يتصوّروا جميعهم أنّ ذكرى فضائلهم التي لا تزال باقيةً بيننا. ستكون خالدة »؟ أضافت قائلة: « لا، إنّني لمقتنعة بأنّ كلّ الرجال يفعلون الأشياء كلّها، وأكثر ما يفعلون أفضلها، على أمل الحصول على الشهرة المجيدة التي تغدقها الفضيلة الخالدة، لأنّهم يرغبون الخالد ».

« إنّ أولئك الحُبالى في الجسد فقط يذهبون إلى النساء بأنفسهم وينجبون الأطفال ـ هذه هي ميزة حبّهم. إنّ ذريّتهم سوف تحفظ ذكراهم، كما يأملون، وتعطيهم البركة والنعمة والخلود الذي يرغبون لكلّ الزمن المستقبلي. لكنّ الأرواح الحُبلى ـ إذ هناك رجال هم أكثر إبداعاً في أرواحهم ممّا هم في أجسامهم بكلّ تأكيد، إنّهم إبداعيون في ذلك الذي يكون مناسباً للروح كي تحمل وتلد. وإذا ما سألتني، يا سقراط، ما هي هذه المفاهيم، فإنّني أجيبك بأنّها الحكمة والفضيلة بشكلٍ عام. إنّ كلّ الشعراء الإبداعيين وكلّ الفنانين الذين يستحقّون إسم المبدِع هم موجودون بين أرواحٍ كهذه. لكنّ النوع الأعظم والأجمل للحكمة ببعدٍ كبير هو ذلك النوع الذي يختصّ بتنظيم الدول والعائلات، والذي يدعى الاعتدال والعدل. والذي امتلك هذه البذور مزروعة في روحه في سنّ الفتوّة، فإنّه عندما يكبر ويصل إلى سنّ النّضج يرغب في أن ينجب ويتوالد. إنّه يطوف هنا وهناك ناشداً الجمال كي يتمكّن من أن يلد ذريّة ـ لأنّه لن ينجب أيّ شيء من التشوّه ـ وهو يحتضن الجسد الجميل بدلاً من الجسدِ المشوّهِ بطبيعة الحال؛ وفوق الجميع، عندما يجد روحاً جميلة ونبيلة وحسنة التربية، فإنّه يحتضن الرّوحين في شخصٍ واحد، وشخص كهذا يمتلىء بالحديث عن الفضيلة وطبيعة وممارسات الإنسان الصالح، ويحاول أن يثقّفه. إنّه يثمر ذلك الذي كوّن عنه

فكرة من قبلُ، وذلك عند ملامسة وفي عشرة الجميل الحاضر في فكره على الدوام، بل إنّه يفعل ذلك حتى في غيابه؛ وهو يعتني بذلك الذي أثمره في صحبته، وهما متزاوجان ومرتبطان برباط أقرب من أيّ رباط آخر بكثير، ويمتلكان صداقة أقرب من صداقة أولئك الذين يلدون أطفالاً غير خالدين، لأنَّ أطفالهما الذين يكونون ذريّتهما المشتركة هم أجمل وأكثر خلوداً. مَن هو الذي، عندما يفتكر بهوميروس وهيسيود وببقيّة الشعراء العظام، لا يرغب في امتلاك أطفال شبيهة بأطفالهم، بدلاً من حيازة أطفال كأطفال الناس العاديين؟ من ذا الذي لن يتشبه بهما في إنجاب أطفالٍ كأطفالهما، الذين صانوا وحفظوا ذكراهما وأعطوهما مجداً أبديّاً. ومن ذا الذي يرفض أن يمتلك هكذا أطفال كليغاركوس، تحدّروا منه كي يكونوا المنقذين ليس للاقيدايمونيا فقط، بل لهيلاس كلّها، كما يمكن لشخص أن يقول؟ هناك صولون أيضاً، الذي هو الأب المبجّل والذي أوجد قوانين أثينا؛ وهناك مشرّعون آخرون في أماكن عديدة أخرى، بين الهيلينيين وبين البربر على حدّ سواء، والذين أعطوا العالم أعمالاً نبيلة متعددة، وقد كانوا آباءً للفضيلة من كلّ نوع؛ وشُيِّد العديد من المعابد إكراماً لهم ومن أجل أطفال كأطفالهم، والتي لم تُبْنَ في تكريم أيّ شخص قطّ، أو من أجل أطفاله الفانين.

« إنّ هذه الأسرار هي أسرار الحبّ الأقلّ، الذي يمكنك حتى أنت أن تلجها، يا سقراط؛ تلك الأسرار التي ستقودك إلى أسرار أعظم وأكثر خفية وهي تاجها كلها. لكنّك إذا تعقّبتها بنفسيّة سليمة، فإنني لا أعرف إذا ما كنت بقادرٍ على أن تبلغها، غير أنّني سأبذل قصارى جهدي كي أخبرك عنها، واتبعني إذا استطعت. إذ، مَن يتقدم على نحوٍ صحيح في هذه المسألة عليه أن يبدأ في سنّ فتوّته ليطلب صحبة الجمال الجسدي؛ وبادىء ذي بدء، إذا أرشده معلمه على نحو سليم، ليحبّ جسماً واحداً جميلاً فقط ـ

يلزمه خارجاً من ذلك أن يخلق أفكاراً جميلة، ولسوف يدرك بنفسه قريباً أنّ جمال جسم ما يماثل جمال جسمٍ آخر؛ وحينئذ إذا كان جمال الشكل هو ما يلاحقه بشكل عامّ، فكم سيكون غبيّاً إذا لم يدرك أنّ الجمال في كلّ جسم هو واحد والشيء عينه! وعندما يدرك هذا فسيضع حدّاً لحبّه العنيف للجسم الواحد الذي سيستخفّ به ويعتبره شيئاً صغيراً، وسيصبح محبّاً ثابتاً وفيّاً لكلّ الأجسام الجميلة. وسيتأمّل مليّاً في المرحلة التالية أنّ الجمال الروحيّ هو أكثر نفاسة من جمال الشكل الخارجي؛ حتى إنْ لم تمتلك روح فاضلة سوى وَسَامة قليلة، سيكون قانعاً بحبّها ورعايتها والميل إليها، وسيبحث بدقّة، عن الأفكار التي يمكن أن تحسّن الشباب وسيبتدعها حتّى يُجبَر تالياً على أن يتأمّل مليّاً ويرى الجمال في العادات وفي النظم الاجتماعيّة وفي القوانين، وليفهم أنّ جمالها كلّها يكون من عائلة واحدة، وأنّ الجمال الشخصيّ ليس إلاّ جمالاً طفيفاً؛ وسيقوده هاديه إلى العلوم بعد العادات والنظم الاجتماعية، كي يتمكّن من مشاهدة المنطقة الفسيحة التي شغلها الجمال من قبلُ. يمكنه بعدئذ أن ينقطع ليكون شبيهاً بخادمٍ لحبٍّ واحد فقط، لحبّ شابّ معيَّن أو إنسانٍ أو مجتمع، ولن يرضى بأن يكون عبداً حقيراً وضيّق الأفق؛ بل سيتّجه نحو البحر الواسع من الجمال ويستغرق تأمّلاً فيه، وسيبدع العديد من الأفكار والمحادثات الجميلة والنبيلة في حبٍّ غير محدودٍ للحكمة، إلى أن يترعرع على ذلك الشاطىء ويصبح قويّاً. وأخيراً فإنّ الرؤيا تكشف له عن عِلمٍ واحدٍ فردٍ فقط، هو علم الجمال في كلّ مكان. إلى هذا العلم سأتقدم؛ إعطني من فضلك أجود انتباهك تماماً.

« إنّ مَن قد تدرّب لهذه الدرجة في أشياء الحب، ومَن تعلّم ليرى الجمال في نظام مناسب بالتسلسل، سيدرك طبيعةً ذات جمالٍ خلاّب عندما يصل إلى النهاية. وهذا، يا سقراط، هو السبب النهائي لكلّ أعمالنا الشاقّة السالفة.

إنّها طبيعة أبديّة في المقام الأوّل، لا تعرف الولادة أو الموت، النموّ أو الفساد. ثانياً، إنّها لا تكون جميلة في وجهة نظرٍ وبشعة في أخرى، أو أنّها تكون جميلة في وقت أو في علاقة أو في مكان، وقبيحة في وقت آخر أو في نسبة أخرى أو في مكانٍ ثانٍ، كما لو أنّها كانت جميلة للبعض وذميمة إلى الآخرين، أو في شَبَهٍ للوجه أو لليدين أو لأيّ جزء آخر من أجزاء الجسم الإنساني، أو في شكلٍ من أشكال الكلام أو المعرفة، أو أنّها طبيعة موجودة في أيّ مخلوق فرديّ، كمثال، في المخلوق الحيّ، سواء أكان في السماء، أو على الأرض، أو كان في أيّ مكان آخر؛ بل إنّه جمال محض، منفصل، بسيط، وأزليّ، جمال يضفي على الجمالات الناشئة والفانية كلّ الاشياء الجميلةٌ أبداً، بدون أن يقاسي هو ذاته نقصاناً، أو زيادة، أو تغييراً. إنّ من يسمو من هذه الأشياء الأرضيّة تحت تأثير الحبّ الحقيقيّ، يجب أن يبدأ من الجمالات الأرضيّة ويرتفع إلى أعلى من أجل ذلك الجمال الآخر، مستخدماً هذه الجمالات الأرضيّة كدرجاتٍ فقط، ويرتقي صُعداً من واحدتها إلى الثانية، ومن الثانية إلى كلّ الأشكال الجسديّة الجميلة، ومن الأشكال الجسدية الجميلة إلى الممارسات الجميلة، ومن الممارسات الجميلة إلى العلوم الجميلة، إلى أن يصل من العلوم الجميلة إلى العلم الذي تكلّمت عنه من قبلُ، العلم الذي ليس له هدف أو غاية أخرى غير الجمال المحض، ويعرف أخيراً ذلك الذي يكون جميلاً بذاته فقط ». ثم استطردت الغريبة من مانتيني قائلة: « إنّ هذه الحياة، يا عزيزي سقراط، هي الحياة التي يجب أن يحياها الإنسان فوق كلّ الحيوات الأخرى، حياة في تأمّل الجمال المحض؛ إنه الجمال الذي اذا ما شاهدته لمرة، فلن تُرى بعدها في أثر مقياس الذهب والأثواب وجمال الأولاد والشباب الذين يسلب لبّك حضورهم الآن؛ وستكون أنت وسيكون العديد قانعين كي يعيشوا لمشاهدتهم فقط

ومحادثتهم بدون طعام أو شراب، إذا كان ذلك ممكناً ـ تريد أنت أن تنظر إليهم وأن تكون معهم. لكن ماذا إذا كان لدى الإنسان عيون لترى الجمال الحقيقي ـ الجمال الإلهي، أعني، الجمال النقيّ والصافي وغير المزيَّف، الجمال اللامدنَّس بالتلوّث الجسديّ وبكلّ ألوان وتفاهات الحياة الفانية ـ ناظراً إلى هناك، ومجرياً محادثة مع الجمال الحقيقيّ البسيط الإلهي؟ تذكّر كيف أنّك في تلك المشاركة فقط، تشاهد بواسطة الذي يمكن أن يُشَاهَد مع ذلك، ومَنْ يُشاهد سيتمكّن مِن أن يثمر أو يولِّد، ليس صور الجمال، بل الحقائق لأنّه لا يملك الصورة بل الحقيقة، وبما أنّه يولِّد أو يثمر الفضيلة الحقيقيّة سيصبح صديق الله كما ينبغي ويكون خالداً. وإذا تمكّن الإنسان الفاني من فعل ذلك، فهل ستكون هذه الحياة حياة حقيرة؟ ».

هكذا كانت كلمات ديوتيما، يا فيدروس. وأنا لا أخاطبك فقط بل أخاطبكم جميعاً، وإنّني لمقتنعٌ بصدقها وصحّتها. وكوني مقتنعاً بها، فإنّي أحاول أن أقنع الآخرين، وهو أنّ في بلوغ هذه الغاية الطبيعيّة الإنسانيّة لن نجد بسهولة مساعداً أفضل من الحبّ. ولهذا السّبب، أقول أيضاً إنّ كلّ إنسان يجب أن يكرِّم الحبّ كما أكرِّمه أنا وأن يسير في طرقه، ويحضَّ الآخرين على أن يفعلوا الشيء عينه، وأن يثني على سلطة ونفسيّة الحبّ طبقاً لمقياس قدرتي الآن وإلى الأبد.

إنّ الكلمات التي تفوّهت بها لكم، يا فايدروس، يمكن أن تسمُّوها مديح الحبّ، أو أيّ شيء آخر تحبّونه.

عندما انتهى سقراط من كلامه، أطرت المجموعة على ما قاله، وكان أريسطوفان على وشك أن يقول شيئاً ما إجابةً على التلميح الذي أشار له سقراط لكلامه الخاصّ[٢٦]، عندما قُرِع باب البيت بشكلٍ قوي ومفاجيء، وكان صوت القاصفين، وصوت الفتاة التي تعزف على الناي مسموعاً. أخبر

أغاثون الحاضرين بأن يذهبوا ويروا مَنْ هم الداخلون إلى البيت عنوة. قال: « إذا كانوا أصدقاء لنا، أدعوهم للدخول، وإلاّ، فقولوا لهم إنّ وقت الشراب انتهى ». بعد وقت قصير سمعوا صوت ألسيبيادس مدوِّياً في القاعة؛ كان في حالة من السكر عظيمة، وبقي يزأر ويصيح « أين أغاثون؟ أرشدوني إلى أغاثون ». وبعد مضيّ وقت طويل اهتدى إليه، مدعوماً بالفتاة العازفة على الناي وببعض خدمه، « مرحباً، أيّها الأصدقاء » قال لهم محيِّياً، وبدا عند الباب متوَّجاً بإكليلٍ ضخمٍ من شجر اللبلاب والبنفسج، وتتدلّى من رأسه شرائط حريريّة. « هل ستسمحون لرجلٍ ثملٍ جدّاً أن يكون رفيق مرحكم الصاخب؟ أو أنّني سأتوّج أغاثون، وكان هذا قصدي من المجيء إلى هنا، ومن الذّهاب سريعاً؟ لأنّي كنت غير قادر على أن آتي البارحة، ولهذا السبب فأنا هنا اليوم أحمل على رأسي شرائط الحرير هذه، ثم أزيلها عنه، كي يمكنني أن أتوِّج رأس أجمل وأعقل الرجال هذا، كما يجوز السماح لي بأن أدعوه. هل تسخرون مني لأنّني سكران؟ وبرغم ذلك فأنا أعرف جيّداً بأنّي أقول الحقيقة، ومع هذا فأنتم تستطيعون أن تضحكوا. تعالوا الآن، لقد أعلنت شروطي: فهل سأدخل؟ نعم أوْ لا؟ هل ستشربون معي؟ ». كان الجمع الموجود صاخباً وملحّاً في رجائه لأن يأخذ مكانه بينهم، ودعاه أغاثون بشكل خاصّ كي يفعل ذلك. وبناء على ذلك وجّهه الذين كانوا معه؛ وبينما كان يواصل سيره، وبما أنّه قصد أن يتوِّج أغاثون، أخذ الشرائط الحريريَّة من على رأسه ووضعها نصب عينيه؛ وهكذا حُجِب عنه سقراط، الذي فسح له مجالاً كي يستمرَّ في سيره، ثم شَغَلَ ألسيبيادس المكان الخالي بين أغاثون وسقراط. وبعد جلوسه عانق أغاثون وتَوَّجَهُ. إنزعْ صندله يا صبيّ، قال أغاثون، ودعه يكون ثالثنا على الأريكة.

مهما كلّف الأمر؛ لكن مَنْ سيكون الشريك الثالث في مرحنا الصاخب؟

قال ألسيبيادس، واستدار ثمّ استهلّ عمله بما أنه شاهد سقراط، وقال: يا للسماء! ما هذا؟ لماذا، إنّه سقراط! إنّك موجود هنا، وتتربّص بي على الدوام، وتنقضُّ علي انقضاضاً مفاجئاً في كلّ الأماكن والنوعيّات غير المتوقّعة، كما هي عادتك. وبعدُ، ماذا لديك لتقوله عن نفسك، ولماذا أنت تتمدّد هنا، حيث إنّني أتصوّر بأنّك خطّطت كي تجد لك مكاناً، ليس بجانب شخص مُغرَم بالمزاح أو محبٌّ للهزل مثل أريسطوفان، بل بجانب الأجمل في هذه الجماعة الموجودة.

استدار سقراط إلى أغاثون وقال: ينبغي أن أسألك كي تحميني، يا أغاثون لأنّ شوقي لهذا الإنسان قد كَبُرَ وأصبح مسألة خطيرة بالنسبة لي. بما أنّني أمسيتُ من المعجَبين به فلم يُسمَحْ لي قطّ بأن أتكلّم مع أيّ جمال آخر، أو حتّى أن أتطلّع بهم. وإنْ فعلت، فإنّه يصير معي عنيفاً بسبب الغيرة والحسد، ولا يسيء معاملتي فقط بل إنّه يستطيع إن يرفع يديه عنّي بصعوبة، ويمكنه أن يوقع الأذى بي في هذه اللحظة. أنظر في هذه الحالة من فضلك، فإمّا أن تصلح ذات البين بيننا، أو إذا حاول أن يستخدم العنف، إحمني منه، لأن فرائصي ترتعد من محاولاته الجنونية المشوبة بالعاطفة.

لا يمكن أن يكون هناك وفاق بيني وبينك أبداً، يا سقراط، قال ألسيبيادس؛ لأنّ ما قلته الآن، سأعاقبك عليه بشدّة في وقت مناسب آخر. وعليّ أن أستعطفك في هذه اللحظة، يا أغاثون، لكي تعطيني بعض هذه الشرائط الحريرية كي أتمكنّ من تتويج رأسه، رأسه الرائع العجيب - إنّني لن أدعه يشكو منّي بسبب عدم تتويجي إيّاه وإهمالي له، وهو الفاتح لكلّ الجنس البشريّ والمتغلّب عليه ببلاغته وفصاحته؛ وليس هذا لمرّة واحدة فقط، كما كانت يوم ما قبل البارحة، بل على الدوام. [ عند ذلك أخذ بعض الشرائط الحريريّة وتوّج بها رأس سقراط، ثم اتّكأ على الأريكة مرّة ثانية ].

وقال بعدئذ: يا أصدقائي، تبدون غير ثملين ورصينين، وهذا شيء لا يمكن أن يبقى ويستمّر؛ ينبغي أن تشربوا، لأنني مُنِحت حقّ الدخول إلى هنا بناء على هذا الاتفاق، وآنتخَبْتُ نفسي سيّداً على الوليمة إلى أن تشربوا كميّة تفي بالمراد. دعنا نحوز طاساً كبيراً، يا أغاثون، إن كان هناك واحد هنا؛ أو على الأصحّ، قال هو، موجّهاً كلامه إلى الحاضرين، أحضروا لي مبرّد النبيذ ذاك ـ إنّ مبرّد النبيذ الذي لمحه كان إناءً يتّسع لأكثر من ربع غالون، فملأ ذلك الإناء وأفرغه وأمر الخادم أن يملأه لسقراط مرّة ثانية. قال ألسيبيادس: لاحظوا، يا أصدقائي، أنّ هذه الخدعة البارعة التي اخترعتها لن يكون لها أيّ تأثير على سقراط لأنّه يستطيع أن يشرب أيّة كميّة من النبيذ دون أن يقارب السكر على الإطلاق. شرب سقراط القدح الذي ملأه له الخادم.

قال أريكسيماخوس: ما هذا، يا ألسيبيادس؟ ألن نتحاور أو نغنّي فوق الأقداح، بل نشرب كما لو كنّا عطاشاً بكلّ بساطة؟

أجاب ألسيبيادس: مرحى، مرحى أيّها الولد الفاضل لأبٍ أكثر حكمة وفضلاً!

قال أريكسيماخوس: أُبادلك الشيء عينه، لكن ماذا ستفعل؟

قال ألسيبيادس: إنني أترك ذلك لك كي تقرّر:

الطبيب العاقل يساوي عشرة آلاف رجل.

هل يجب عليّ أن أصف وأنتم عليكم أن تطيعوا، فماذا تريدون؟

حسناً، قال أريكسيماخوس، إنّنا أصدرنا قراراً قبل أن تظهر للعيان وهو أنّ كلّ واحد منّا يجب أن يؤلف حديثاً للثناء على الحبّ، كلٌّ بدوره، وأفضل حديث يقدر آمرؤٌ على تأليفه؛ ومرّ الدور على كل واحد منا من اليسار إلى اليمين، وبما أنّنا تكلّمنا جميعاً، وبقيت أنت من غير المتكلمين، لكنّك شربت جيّداً، فيجب عليك أن تؤدّي دورك في الكلام، وافرض على سقراط بعدئذٍ أيّ عملٍ شاقّ يسرّك، ومن ثمّ سيفعل الشيء عينه الشخص الذي إلى يمين جاره، وهكذا دواليك.

إنّ ذلك جيّد، يا أريكسيماخوس، قال ألسيبيادس؛ ومع هذا فإنّ مقارنة خطاب إنسانٍ سكرانٍ بخطابات أولئك الرجال غير الثملين والرصينين هي مقارنة عادلة بالكاد. وسأحبّ أن أعرف أيضاً، يا صديقي الحلو، إذا ما كنت تصدِّق حقّاً ما قاله سقراط لتوّه الآن؛ فأنا لا أستطيع أن أؤكّد لك أنّ الحقيقة هي عكس ذلك تماماً، وأنّي إذا مدحت أيّ شخص سوى نفسه في حضوره، سواء إذا كان إلهاً أو إنساناً، فإنّه سيرفع يده عني بجهدٍ جهيد.

سقراط: يا للعار.

ألسيبيادس: أمسك لسانك عن كلام كهذا، لأنّني أقسم بأنّه لا يوجد شخص آخر هنا أُثني عليه عندما تكون أنت من ضمن المجموعة.

اريكسيماخوس: حسناً إذن، إثنِ على سقراط إذا أحببت.

ألسيبيادس: ماذا ترى، يا أريكسيماخوس؟ هل سأهاجمه وأُنزل به العقاب أمامكم جميعاً؟

سقراط: ماذا أنت على وشك أن تفعل؟ هل أنت ذاهب لتثير ضحكاً أكثر، على حسابي؟

ألسيبيادس: إنّني ذاهب لأتكلّم الحقيقة، إذا ما سمحت لي.

سقراط: إنّني لا أسمح لك فقط، بل أحضُّك على أن تتكلّم الحقيقة.

ألسيبيادس: سأتكلّم في الحال إذن، وإذا قلت أيّ شيء ليس حقيقياً، يمكنك أن تقاطعني إذا ما أردت، وقُلْ « إنّ هذه كذبة »، مع أنّ قصدي هو أن أقول الحقّ. لكنّك يجب أن لا تتعجّب كما تمرّ الأشياء في فكري على كل حال؛ لأنّ التعداد الرشيق والمنظَّم لكلّ صفاتك المميَّزة ليس بالعمل الشاقّ، لكنّه ليس بالعمل السهل على إنسان في حالتي.

والآن، يا أولادي، فإنّني سأثني على سقراط في استعارةٍ ستبدو له أنّها رسم

كاريكاتوريٌّ، وبرغم هذا فإنّي، إن تكلّمت، لن أتكلم لأهزأ به، بل سأتكلّم من أجل الحقيقة فقط. أقول، إنّ سقراط مثل تماثيل سيليتوس النصفيّة بالضبط، والتي توضع في حوانيت مجموعة التماثيل، وفي أفواهها مزامير ونايات؛ وهي مصنوعة بكي تفتح في وسطها، وفي داخلها صور للآلهة. أقول أيضاً بأنّه يشبه مارسياس الساطيري. وأنت نفسك لن تنكر، يا سقراط، أنّ وجهك يشبه الساطير[٢٧]. نعم، هناك شبَهٌ بينك وبينه في نقاط أخرى أيضاً. كمثال، أنت مَرِح، كما يمكنني أن أبرهن ذلك بشواهد، وإن لم تعترف بهذا. ألست أنت عازف ناي؟ إنّك لكذلك بالتأكيد، وأنت عازف أكثر روعة ببعد كبير من مارسياس نفسه. إنّ مارسياس اعتاد أن يسحر أرواح الرجال بقوة نَفَسِهِ حقّاً، ولا يزال عازفو موسيقاه يقومون بالشيء عينه. إنّ اتساق الأصوات والألحان الأولومبيّة استُمِدَّ من مارسياس الذي علّمها. وهذه الألحان، سواء إذا عزفها سيّدٌ موسيقي عظيم أو فتاةٌ عازفة على الناي تعيسة، فإن لها من القوة ما لا يمتلكها اتساق الأصوات الأخرى؛ إنّها وحدها تمتلك الروح وتكشف متطلبات أولئك الذي يحتاجون للآلهة والطقوس السّريّة الدينية، لأنها طقوسٌ إلهيّة، لكنك تحدث التأثير عينه بكلماتك فقط، ولا تحتاج للناي! هذا هو الفرق بينك وبينه. عندما نسمع نحن أيّ متكلّم آخر، حتى إن كان متكلّماً جيّداً، فإنّه لا يؤثر فينا تأثيراً كليّاً، أو لا يسبب تأثيراً كثيراً، في حين أنّ مجرّد أجزاء من حديثك ومقاطع من كلماتك، حتّى إذا كانت ثانوية، وكيفما أعيد سردها ولو كانت غير تامّة، فإنّها تذهل كلّ إنسان وتمتلك روحه، وهكذا تفعل بكلّ امرأة وطفل يدخل ويسمعها[٢٨] ولولا خوفي أنك ستظنني سكران ميئوساً منه، فإنّني كنت سأقسم، بالإضافة إلى كلامي، بأنّ تأثيرها عليّ كان ولا يزال قويّاً على الدوام. إنّ قلبي يقفز داخل صدري عندما أسمعها أكثر ممّا

يفعله أيّ طَرِبٍ أو مَرِحٍ كوريبانتيني، وتنهمر عيناي دموعاً، وألاحظ أنّ العديد من الأناس الآخرين يتأثّرون بالطريقة عينها بدون ريب. إنّني سمعت بريكلس والخطباء العظماء الآخرين، وظننت أنّهم تكلّموا جيّداً، لكن لم يخامرني أيّ شعور مشابهٍ قطّ؛ إنّ روحي لم تهتزّ بما قالوه، لا ولم أكن غاضباً إذ فكرت بحالتي الخاصّة المتّسمة بالتقليد والمحاكاة. لكنّ مارسياس هذا غالباً ما استدرجني إلى وضع كهذا، ممّا جعلني أشعر بل شعرت وكأنّني لا أستطيع أن أطيق الحياة التي أحيا « ستعترف بهذا، يا سقراط؟ »؛ وإنّني لمدرك في هذه اللحظة بالذات بأنّي إن لم أصمّ أذنيّ قبالته، وأطير كما أفعل من صوت السَّيْرَانة[٢٩]، فلم أستطع أن أثبت أمامه، وسيكون قدري مثل أقدار الآخرين. إنّه سيثبتني في الأرض، وسأشيخ جاثياً على قدميه، لأنّه يجعلني أعترف بأنّه يجب عليّ أن لا أحيا كما أفعل، مهملاً العديد ممّا تحتاجه روحي الخاصّة وشاغلاً نفسي بما يخصّ الأثينيين؛ ولهذا السبب فإنّني سأصمّ أذنيّ وأحبس دموعي عنه. وهو الشخص الوحيد الذي جعلني خجلاً، ويمكنكم أن تعتقدوا بأنّ هذا ليس من طبيعتي، ليس هناك شخص آخر فعل معي الشيء عينه. أعرف بأنّي لا أستطيع أن أجيبه، أو أن أقول بأنّي لا يجب أن أفعل كما يأمر، لكنّي عندما أغادر مكان وجوده فإنّ حبّ الشعبيّة تحصل على أفضل ما تستطيع الحصول عليه منّي. ولهذا السبب فإنّي أنسَلُّ خارجاً وأهرب منه. وعندما أراه فإنّي أخجل ممّا اعترفت له به، تمنّيت لو أنه كان متوفّى عدّة مرات. وبرغم هذا فأنا أعرف بأنّي سأكون أكثر تأسّفاً من كوني مسروراً لو أنه توفّي؛ وهكذا فإنّي في حيرة من أمري ماذا سأفعل بشأن هذا الإنسان.

إنّ هذا هو ما قاسيت وما عاناه الآخرون من عازف القيثارة لهذا الساطير. ومع ذلك استمعوا إليّ مرّة أخرى لأريكم كيف هي صورته دقيقة، وكم

هي قوّته عجيبة. كونوا متأكّدين من أن لا أحد منكم يعرفه، غير أنّي سأكشفه لكم، بما أنّي ابتدأت فيجب عليّ أن أستمّر في ذلك. هل ترون مدى إعجاب سقراط بالجميل؟ إنّه معهم على الدوام وهو يعاني منهم بشكل مستمّر، وبعدئذ فهو لا يعرف شيئاً، وهو جاهل بكلّ شيء ـ هذا هو المظهر الذي يظهر به. ألا يشبه سيلينوس في هذا؟ تأكّدوا أنه كذلك: إنّ قِناعه الخارجي هو رأس سيلينوس المنحوت؛ لكن أوه يا رفاقي كيف سأصفه لكم عندما يشرب؟ وحينما يشرع بالشراب، فأيّ اعتدال يسكن في داخله! تعرفون أنتم أنّ الجمال والغنى وكل النعم الأخرى التي تجلب السعادة العظيمة في الرأي الشعبيّ، تعرفون أنّ هذه النعم لا أهميّة لها عنده ويستخفّ بها بشكل مطلق: إنّه لا يعتبر الأشخاص الممنوحة لهم هذه النّعم على الإطلاق، حتّى نحن لا يقيم لنا وزناً. إنّ هذه حقيقة؛ لكنّه يقضي حياته كلّها في إغاظة بني الإنسان. وبما أنّه يخفي مراميه الحقيقيّة على كلّ حال، فإنّني عندما فتحته ونظرت داخل قصده الجادّ والهامّ، رأيت فيه صوراً إلهيّة وذهبيّة ذات جمال يسبي العقول، وكنت مستعدّاً لأن أفعل ما يأمرني به سقراط في لحظة. يمكن أنّ تلك الصور التي قدّمتها لم يلاحظها الآخرون لكن أنا راقبتها بل رأيتها. وبعدُ فإنّني توهّمت أنه كان مفتتناً بجمالي بشكل جدّي، واعتقدتُ أنّ هذا كان نموذجاً رائعاً من نماذج الحظّ؛ كانت لديّ الوسائل لتعقّبه كي يخبرني كلّ شيء عرفه إذ كان لدي رأي مدهشٌ عن جاذبية شبابي. وعندما ذهبت إليه مرّة ثانية في متابعة هذا الغرض، أعدتُ المرافق الذي يلازمني عادة « إنّني سأعترف بالحقيقة كلّا، وأستعطفكم أن تسمعوني؛ وإذا ما نطقت باطلاً فاكشف عن هذا التزييف، يا سقراط ». حسناً، إنّنا كنّا معاً لوحدنا، هو وأنا، واعتقدت بأننا عندما نكون منفردين، فإنّي سأسمعه يتكلّم اللغة التي يستخدمها المحبون مع محبّيهم عندما يكونون

وحيدين، وكنت مبتهجاً لذلك. لم يحدث أيّ شيء من هذا النوع؛ بل حادثني كالمعتاد، وأمضى اليوم وانصرف بعدئذ. تحديته في قاعة المناقشات العامّة فيما بعدُ؛ وصارعني وضيّق عليَّ عدة مرات عندما لم يكن أحد حاضراً هناك. توهّمت بأنّي يمكن أن أنجح بهذا الأسلوب. لم يكن نجاحي يساوي مثقال ذرّة، ولم يكن لديَّ أيّة وسيلة معه. أخيراً، بما أنّني أخفقت حتى الآن، اعتقدت بأنّي يجب أنّ أتّخذ إجراءات أقوى ضدّه، وأن أهاجمه جسدياً. وعندما بدأت، لم أتوقّف عن المحاولة، بل رأيت كيف تتوقّف المسائل بيني وبينه. وهكذا دعوته كي يشرب معي، وقَبِلَ الدعوة بعد مدّة، وحينما أتى لأوّل مرّة أراد أن يذهب حالاً عندما انتهى من العشاء، ولم تكن لديَّ الجرأة كي أحتجزه، وبقيت مصمّماً على تنفيذ مخطّطي للمرّة الثانية. إبتمريّت في التحادث معه إلى ساعة متأخّرة من ساعات الليل، بعد أن شربنا. وعندما أراد أن يغادرني ويبتعد، تظاهرت بأنّ الوقت كان متأخّراً وأجبرته على البقاء، وهكذا استلقى هو على الأريكة بجواري، حيث اتّكأ أثناء العشاء، ولم يكن هناك أحد سوانا نحن الإثنين نائِمَين في الشّقّة. يمكن أن يقال كلّ هذا لأيّ شخص بدون خجل، لكنّني أستطيع أن أخبركم ماذا حدث بعد ذلك بصعوبة إذا ما كنت صاحياً؛ ومع ذلك فكما يقول المثل «in vino veritas» أي تقال الوقائع عند السّكر، سواء إذا وجدت أفواه الأطفال أم لم توجد أيضاً؛ ولهذا السبب يمكنني أن أتكلّم، ولا يجب أن أُبرّر في إخفاء عملٍ متألّقٍ لسقراط عندما أشرع في الثناء عليه. بالإضافة إلى ذلك فإنّي شعرت بلدغ الأفعى؛ وهو الذي عانى منها، كما يقول المثل، كونه على استعداد لأن يخبر رفاقه الذين قاسوا بما أنهم هم وحدهم سيفهمونه على الأرجح، ولن يكونوا متطرّفين في الحكم على أقواله وأعماله التي قد انتُزِعت من عذابه، لأنّني قد لُدِغت بأسوأ من اللّدغ بسنّ الأفعى

الخبيثة؛ وعرفت بروحي، أو بقلبي، أو بأيّة وسيلة أخرى يمكن وصفها، عرفت أنّ أسوأ الوخزات للفتى الحاذق هي الأكثر إيلاماً وعنفاً من أيّة لدغة بسنٍّ أفعى خبيثة ـ عرفت أنّ هذه الوخزة هي وخزة الفلسفة التي ستجعل إنساناً يقول أو يفعل أيّ شيء. وأنتم الذين أراكم حولي، فايدروس وأغاثون وأريكسيماخوس وبوسانياس وأريسطوديموس وأريسطوفان، إنّكم كلّكم، ولا أحتاج لأن أقول سقراط ذاته، والجماهير الأخرى، كانت له الخبرة الديونسيوسيّة المجنونة المولعة بالفلسفة. لذلك آستمعوا وآصفحوا عن أفعالي حينئذ وعن أقوالي الآن. لكن دعوا المرافقين والأشخاص الملحدين واللاأخلاقيين يقفلون آذانهم بإحكام.

عندما أطفأ المصباح في الليلة عينها وذهب الخدم بعيداً، اعتقدت بأنّني يجب أن أكون واضحاً معه، وأن أقلّل من الغموض. وهكذا هززته وقلت له: « يا سقراط، هل أنت نائم »؟ أجابني: « لا » « هل تعرف بماذا أفكّر؟ » قال: « بماذا؟ » أجبته: « من بين كلّ المحبّين الذين لديّ فإنّك الشخص الوحيد الجدير بي، ويظهر أنّك متواضع جدّاً كي تتكلّم. وبعدُ أشعر بأنّي سأكون غبيّاً كي أرفض لك هذا المعروف أو أن أرفض أي معروف آخر، ولهذا السبب فإنّني أتيت إليك كي أضع عند قدميك كل ما أملك وكل ما يحوزه أصدقائي، على أمل أنّك ستساعدني في طرق الفضيلة، والتي أرغبها فوق كلّ شيء، وأعتقد بأنّك ستساعدني فيها أفضل من أيّ شخص آخر. وسيكون لديَّ سببٌ أكثر كي أكون خجولاً بالتأكيد فيما سيقوله الرجال الحكماء إذا ما كنت سأرفض خدمةً أو رعايةً من شخص مثلك، ولن أهتمَّ بما سيقوله العالم عنّي، إذ إن أكثره أغبياء، إن منحتها لك ». أجابني على هذه الكلمات بأسلوبه التهكّمي الذي هو صفة مميّزة له وقال: « يا ألسيبيادس، يا صديقي، إنّ لديك هدفاً رفيعاً إذا كان الذي تقوله صحيحاً، وإنْ وجدتَ

فيَّ قوّةً بحقٍّ هي التي يمكنك أن تصبح أفضل بواسطتها؛ إن كان لديك ذلك فيجب أن ترى فيَّ بإخلاص جمالاً نادراً أسمى، بشكل لا يُحمد، قياساً إلى الوسامَة التي أراها فيك، ولهذا السبب إذا قصدت أن تقاسمني وأن تبادلني جمالاً بجمال، فإنّك ستحوز الأفضليّة عليَّ بشكل عظيم. إنّك ستكسب الجمال الحقيقيّ مقابل جمال المظهر ـ وبذلك تكون مثل ديوميد الذي بادل الذهب بالنحاس. لكن انظر مرّة ثانية، يا صديقي الجميل، وشاهد إذا ما كنت مخدوعاً فيَّ. يبدأ العقل في النموّ حَرَجاً حينما يخبو نور العيون الشحميَّة، وأنت لا يزال طريقك طويلاً للوصول إلى تلك المرحلة ». عندما سمعته يقول هذا، أجبته: « إنني بحت لك بأفكاري الخاصّة، وقلت لك ما أعنيه بالضبط، والآن فأنت حرٌّ في أن تأخذ بعين الاعتبار ما تراه أفضل لي ولك ». قال سقراط: « إنّ ذلك جيّد؛ سنتأمّل ونفعل ما يبدو أنّه الأفضل بخصوص هذه المسألة وبخصوص المسائل الثانية في وقت آخر ». بعد تبادل هذه الكلمات، تصوَّرت أن ملاحظاتي الساخرة جرحته، وهكذا بدون أن أنتظر سماع أي كلام منه أكثر انتصبت واقفاً ورميت معطفي حوله وانسللت تحت عباءَته الرثَّة، لأنّ الوقت كان شتاءً، وتمدَّدت هناك الليل كلّه ممتلكاً هذا الإنسان العجيب الذي هو فوق مستوى البشر، ممتلكاً إياه بين ذراعيّ بحق. وهذا ما لن تنكره، يا سقراط، مرّة ثانية، وبالرغم من كلّ هذا كان هو هكذا أرفع مقاماً وأسمى من التأثّر بغوايتي، وكان مزدرياً وساخراً ومستخفّاً بجمالي ـ ذلك الجمال الذي توهمت أنّ له بعض الجاذبية حقاً ـ اسمعوا، أوه يا قضاتي، فأنتم ستكونون قضاة لفضيلة سقراط المتعجرفة ـ لم يحدث شيء أكثر من ذلك، لكنّني عندما استيقظت في الصباح « دعوا كلّ الآلهة والإلاهات أن يكونوا شاهدين وشاهدات عليَّ »، ارتفعت عن الأريكة مثلما أرتفع عن تلك التي لأب أو لأخٍ أكبر مني سنّاً.

ماذا تفترضون أنه قد كان شعوري، بعد هذا الرفض، وعند التفكير بالإهانة التّي لحقت بي؟ ورغماً عن ذلك فلم أستطع سوى أن أتأمّل مليّاً في هذا الاعتدال وضبط النفس والرجولة الطبيعية في سقراط. لم أتصوّر قطُّ بأنّي قدرت على مقابلة إنسانٍ مثله في حكمته وصبره. ولهذا السبب، لم أتمكّن من أن أكون غاضباً منه، أو أن أتبرأ من صحبته، بأكثر من أن أجد طريقة كي أكسبه، لأنّني عرفت جيّداً أنّه إذا لم يستطع الفولاذ أن ينال من أجاكس فإنّ الدراهم سيكون تأثيرها عليه أكثر قليلاً؛ لكنّه أفلت منّي عندما حاولت بالوسائل الوحيدة الّتي تصوّرت أنها يمكن أن تأسره ألا وهي الدراهم، هكذا كنت أنا في نهاية ذكائي؛ ولم يكن أحد مثلي قطّ أكثر استعباداً من قبل إنسان آخر منه وذلك على شكل استعباد ميثوس. حدث كل هذا قبل أن أذهب وإياه في الحملة العسكرية إلى يوتيدايا. هناك تناولنا الطعام معاً، وكانت لديَّ فرصة لملاحظة قوته غير العادية لتحمّله المشقّات. إنّ صبره كان رائعاً بكلّ بساطة، حينما قُطِعت عنا الإمدادات، وكنّا مجبرين على أن نسير بدون غذاء. في مناسبات كتلك التي تحدث غالباً في زمن الحرب، كان أرفع مقاماً وأسمى ليس منّي فقط بل من أي شخص آخر؛ لم يكن هناك شخص واحد يمكن أن يُقارن به. ومع ذلك لم يساوِهِ أحدٌ في الاحتفال بقوّة استمتاعه في الشراب؛ مع أنّه لم يشأ أن يشرب، لكنّه يستطيع أن يتغلب علينا جميعاً فيه إذا أُجبر على ذلك. إنّه كان إنساناً رائعاً في سرد القصص، لم يرَ أيّ مخلوق إنساني سقراط سكران، ولقد اختُبرت قوّتُه في ذلك منذ عهد بعيد، إذا لم أكن مخطئاً، لكن جَلَدَهُ في تحمّل البرد كان مدهشاً أيضاً. حَدَث أن كان هناك صقيعٌ هو الأكثر قسوة حيث كنّا، لأنّ الشتاء عظيم في تلك المنطقة بحقّ، وكلُّ شخص من الذين كانوا معنا إمّا بقي في البيت، أو تدثّر بالثياب الكثيرة إذا خرج منه وانتعل

الأحذية الجيدة، ولفّ قدميه باللّبّاد وصوف الخراف. لكنّ سقراط كان يمشي في هذا الوسط الشديد البرودة بقدميه العاريتين على الجليد ويلبس الثياب العادية. إنّه مشى أفضل ممّا يمشي الجنود الأخرون الذين انتعلوا الأحذية، وكانوا ينظرون إليه نظراتٍ ملؤها البغض والعداء لأنّه بدا لهم أنّه يستخفّ بهم.

لقد أخبرتكم قصّة واحدة عنه، والآن يجب أن أخبركم قصّة أخرى جديرة بالاستماع عن أفعال ومعاناة الإنسان الطويل الأناة. بينما كان يشارك في الحملة العسكرية، وكان ذات صباح يفكّر بشيءٍ ما لم يستطع أن يحلّه، لم يتخلَّ عن مواصلة ذلك، بل تابع التفكير من الصباح الباكر إلى فترة الظهيرة ـ هناك وقف ثابتاً يفكّر؛ واسترعى انتباه الحضور بعد ذلك بقليل، وانتشرت إشاعة بين الجمهور المتسائل عنه مفادها أنّ سقراط كان واقفاً ومفكّراً بشأن شيء ما منذ أن طلع النهار. وأخيراً، أحضر بعض الأيونيين حُصُرهم في المساء بعد العشاء، وذلك بسبب حبِّهم للاستطلاع « عليَّ أن أوضح أنّ هذا الذي حديث لم يكن في فصل الشتاء بل كان في فصل الصيف »، أحضر هؤلاء الأيونيون حُصُرهم خارجاً وناموا عليها في الهواء الطلق كي يتمكّنوا من أن يراقبوا ويروا إذا ما كان سقراط سيقف حيث هو طوال الليل. وقفَ سقراط هناك حتّى الصباح التالي، وقدَّم صلاة إلى الشمس مع عودة النور، ومضى في طريقه. إنّني سأخبركم أيضاً، إذا أردتم، أنّي مُلزَمٌ بأن أقول ذلك، سأخبركم عن شجاعته في المعركة؛ إذ مَنْ سواه أنقذ حياتي؟ فإنّ هذا القتال الذي خضناه كان القتال الذي تلقيت عنه جائزة البسالة: لقد جُرِحت أثناءَه ولكنّ سقراط لم يتركني، بل إنّه أنقذني مع كل أسلحتي وكان من الواجب اللاّزب أن يتلقّى هو جائزة الشجاعة التي أراد القادة الحربيّون أن يمنحوها لي بسبب رتبتي في الجيش، وأخبرتهم هكذا « وهذا

الذي أقوله لن يطعن فيه سقراط أو ينكره » لكنّه هو كان أشدّ لهفة من القادة الحربيّين بأن آخذ الجائزة أنا وليس هو. هناك مناسبة ثانية كان سلوكه أثناءَها سلوكاً مدهشاً جداً ـ في فرار الجيش بعد معركة ديليوم، حيث خدم هو بين الجنود المجهزين بأسلحة ثقيلة ـ كانت لديّ فرصة أفضل كي أراه أكثر ممّا رأيته في معركة بوتيدايا، لأنّني كنت أمتطي حصاناً، ولهذا السبب كنت خارج دائرة الخطر بشكل لا يُقارَن. كانت الفرق العسكرية مشتّتة أثناء هروبها، وكان هو متقهقراً يصحبه لاخيس. حدث أن قابلتهما هناك وحثثتهما أن يتشجعا، وأن لا تهن عزيمتهما، ووعدتهما بأن أبقى معهما؛ وهناك يجب عليك أن تراه، يا أريسطوفان، كما تصفه[٣٠]، لقد فعل هناك كما يفعل في شوارع أثينا تماماً، ناقلاً خطاه بحذر مثل طائر البجع، وعيناه تترصّدان في كلّ آتجّاه، كأنّه يتوقّع شيئاً ما يقوم به الأعداء كما يتوقّعه من الأصدقاء وبهدوء، موضحاً نفسه لأيّ شخص وبطريقة عظيمة أنّه لا يقدر أن يفرّ منه مهما حاول ذلك، وكذلك فإنّ كلّ من يهاجمه سيقابَلُ بمقاومة عنيدة على الأرجح؛ وتمكّن هو ورفيقه من الهرب بهذه الطريقة ـ إنّ هذا النوع هو نوع الإنسان الذي لم يستطع أحد أن يلامسه في الحرب قطّ، أمّا أولئك الذي يتعقبّهم أعداؤهم فهم الذين يولّون هاربين بتهوّر وطيش. إنّني لاحظت كم كان هو أعلى وأسمى من لاخيس بحضوره العقليّ. يمكن أن تقال أشياء أخرى كثيرة خارقة للعادة عن سقراط؛ ربّما كان بعضها متساوياً في إنسان آخر مثله، لكن برغم ذلك فإنّ عدم تشابهه الكليّ بأيّ مخلوق إنساني، وُجِد أم لم يوجد، هو شيء مذهلٌ بشكل كامل. يمكنكم أن تتصوّروا أن براسيداس والآخرين قد كانوا مثل أخيل، أو يمكنكم أن تظنوا أن ناستور وانتينور قد كان شبيهين ببريكلس، ويمكن قول الشيء عينه عن الرجال الشهيرين الآخرين؛ لكنّكم لن تكونوا بقادرين على أن تجدوا أبداً أيّ

شخص شبيه بهذا المخلوق العجيب، حتّى ولا بكلماته، مهما كان هذا الشخص قصيّاً، لا في الأجيال الحاضرة ولا في الأجيال الماضية - غير أولئك الذين اقترحتهم من قبلُ لسيلينوس والساطير؛ وهم لا يمكنهم ان يماثلوه فقط، بل يمكنهم ان يماثلوا كلماته أيضاً. وبرغم أنني نسيت أن أذكر هذا لكم قبلاً، من أن محادثاته تشبه تماثيل سيلينوس التي تفتح؛ وهي تماثيل مضحكة عندما تسمعها لأوّل مرّة. إنّها مغلفّة بكلمات وعبارات تشبه جلد الساطير المطلق العِنان، لأنّ كلامه ككلام الساخرين والحدادين والأساكفة والحمّالين، وهو يردّد أبداً الأشياء عينها بالكلمات نفسها[٣١] إلى درجة أنّ أيّ شخص أحمق وقليل التجربة يمكنه أن يشعر بأنّه ميّال ليسخر منه. لكن مَن يرى التمثال النصفيّ مفتوحاً وينعم النظر في داخله، سيجد أنّ كلمات سقراط هي الكلمات الوحيدة التي تمتلك معنىً، وهي الأكثر إلهية أيضاً. إنّها الكلمات الزاخرة بصور الفضيلة الجميلة وبالإدراك والمعرفة الأرحب والأشمل، أو على الأصحّ أنّها تشمل كلّ شيء يجب أن يتذكّره إنسان إذا ما كان عليه أن يصبح إنساناً ذا جلال وشرف.

إنّ هذا الذي قلته، يا أصدقائي، هو ثنائي على سقراط. إنّني أضفت لومي له لمعاملته السيّئة التي عاملني بها. وهو لم يعاملني لوحدي هكذا، بل عامل كارميدس بن غلوكون، ويوثيديموس بن ديوكليس، وعديداً من الآخرين بالطريقة عينها - مبتدئاً كصديقٍ محبٍّ لهم، وانتهى مخاتلاً بجعلهم يوجّهون كلامهم له. لذلك أقول لك، يا أغاثون، « لا تُخدع به، تعلّم منّي واقبل التحذير، ولا تكن غبيّاً وتعلّم بالخبرة، كما يقول المثل ».

حينما انتهى ألسيبيادس من كلامه، سُرَّ الجميع من صراحته لأنّه بدا أنّه لا يزال يحبّ سقراط. إنّك رزين وغير ثمل، يا ألسيبيادس قال سقراط، أو أنّك لم تكن لتذهب لهكذا بعدٍ أبداً بشأن إخفاء قصدك من ثناءات

الساطير، لأنّ كلّ هذه القصّة الطويلة التي رويتها هي إسهاب حاذق فقط تدخل نقطتها الرئيسية في النهاية وبالمناسبة؛ تريد أن تهيِّء لنزاعٍ بيني وبين أغاثون، وما نيّتك إلاّ أنّه يجب عليّ أن أحبّك فقط وأن لا أحبّ أيّ شخصٍ آخر، وأنكّ أنت، وأنت فقط الذي ينبغي أن تُحبّ أغاثون. لكن المؤامرة لهذه المسرحيّة الساطيرية أو السيلينيكيّة قد كُشِفت، وأنت، يا أغاثون، يلزمك أن لا تسمح له بأن يسجّل نجاحاً في خطته، وأن يوقعنا في الخلاف.

أغاثون: أعتقد بأنّك محقّ. وهكذا فإنّني أستنتج من الطريقة التي وضع نفسه فيها بيني وبينك بقصد فصلنا وتفرقتنا؛ لكنّه لن يربح شيئاً بتلك الحركة، لأنّني سأذهب وأستلقي على الأريكة بجانبك.

سقراط: نعم، نعم، تعالَ إلى هنا مهما كلّف الأمر واستلقِ على الأريكة المقابلة لي.

ألسيبيادس: واحسرتاه! كيف يمضي هذا الإنسان في اضطهادي؛ إنّه مصمم على الحصول على الأفضل منّي في كل دورة. ألتمس منك، إسمح لأغاثون أن يستلقي بيننا على الأقلّ.

سقراط: لا بالتأكيد، بما أنّك أثنيت عليّ، ويلزمني أن أطري على جاري الجالس إلى يميني بالمقابل، لأنّه سيكون فوضوياً في مدحي مرّة ثانية عندما يلزمه أن يكون ممدوحاً بي، ويجب عليّ أن أستعطفك لتقبل بهذا وأن لا تكون غيوراً. فلديّ رغبة كبيرة لأن أمدح الشباب.

أغاثون: هوراه! إنّني لا أستطيع البقاء هنا على الأرجح،يا ألسيبيادس؛ ينبغي أن أتحرّك في الحال، كي يمكنني أن أكسب ثناء سقراط.

وقف أغاثون كي يمكنه أن يأخذ مكانه على الأريكة بجانب سقراط، حينما دخلت عصبة كبيرة من القاصفين، وأفسدوا نظام الوليمة. وبما أنّ شخصاً ما من الحاضرين ذهب إلى المخرج وترك الباب مفتوحاً لذلك تسنّى لهم الدخول، وجعلوا أنفسهم وكأنّهم في بيتهم. وتلا دخولهم ارتباكٌ كبير،

وأُجبر كلُّ شخص على أن يشرب مقادير كبيرة من النبيذ. قال أريستوديموس، إنَّ ألسيبيادس، فايدروس، والآخرين خرجوا، أمّا هو فقد استسلم للنوم. وبما أنّ الليالي كانت طويلة فقد أخذ قسطاً من الراحة لا بأس به، ثمّ أيقظه قرب طلوع الفجر صياح الديوك. وعندما استيقظ، كان الآخرون، إمّا نائمين، أو أنهم تركوا المكان؛ بقي سقراط هناك فقط، أما أريسطوفان، وأغاثون، اللذين شربا من طاسٍ كبير أداراه على الحاضرين، فكان سقراط يحادثهما. كان أريستوديموس نصف مستيقظٍ فقط، ولم يسمع بداية المحادثة؛ أمّا الشيء الرئيسي الذي تذكَّره فكان إجبار سقراط الاثنين الآخرين كي يعترفا أنّ الصفة المميِّزة للملهاة هي الشيء عينه التي للمأساة، وأنّ الفنّان الحقيقي في المأساة هو فنان في الملهاة أيضاً. كانا مكرهين على الإعتراف بذلك، كونهما يتملّكهما النعاس. وقبل كلّ شيء فإنّ أريسطوفان غلبهِ النعاس، وتبعه أغاثون بعدئذ وكان النهار طالعاً في ذلك الحين. بعد أن رآهما سقراط مستغرقين في النوم، تركهما وانصرف؛ وتبعه أريستوديموس، كما كان أسلوبه في ذلك. استحمَّ سقراط في حمَّام قاعة المناقشات العامة، وأمضى اليوم كالمعتاد، وفي المساء خلا إلى نفسه كي يرتاح في بيته الخاص.

# محاورة هيبياس الكبرى

## ماهية الجمال

### أفكار المحاورة الرئيسية

يشرح هيبياس السوفسطائي، الذي يرحب به سقراط، يشرح لسقراط سبب غيابه الطويل عن أثينا، ذلك أن بلاده إليس انتدبته كسفير لها في البلدان الأجنبية كي يحسم القضايا ويوطِّد الأمور المعلقة بينهما. يسأله سقراط قائلاً: يا هيبياس، ما هو الشيء الذي يجب أن يفعله الإنسان كي يكون إنساناً كاملاً، وأنت الرجل الكفؤ والقادر أن تجيب على سؤال دقيق كهذا السؤال، وكذلك ما هو السبب الذي من أجله لم يأخذ رجالنا الكبار البارزين أيّ دورٍ في السياسات؟ يجيبه هيبياس على كلا السؤالين قائلاً: إنّ سبب ذلك، يا سقراط، هو عجزهم وقلّة مؤهّلاتهم وافتقارهم في نقل حكمتهم إلى منطقتي الحياة الخاصّة والعامّة منها، وذلك بواسطة فنّ السوفسطائيّ الذي هو فنّ الفصالة والبلاغة الذي يغدق على فاعله المال الوفير. وهذا هو ما حقّقته أنا بالفعل في صقلية واسبرطة ولاقيدايمونيا وغيرها من البلدان. لكنّني لم أستطع في لاقيدايمونيا أن أدعهم يستمعون إلى تاليمي كما يجب، غير أنّي أقدر أن أقول بأنّهم يبتهجون لعمل الأنساب التي تخصّ الأبطال والرجال، ويفرحون لسماع قصص تأسيس المدن في الأزمنة الغابرة، ويُسرّون لكلّ الأطروحات المختصّة بالآثار القديمة والتراث الأدبي الموروث. بيّنت لهم كذلك كيف يستطيع الشابّ الفتيّ أن يؤدّي الممارسات الشريفة والجميلة والتي يجب أن يكرّس نفسه لها.

قال سقراط: ذكّرتني، يا هيبياس، باجتماع حدث أن عقدته مع صديق قديم،

وأدنت حينها بعض الأشياء في تأليفاتٍ محدَّدة لأنّها قبيحة، وأثنيت على الأخرى لأنها جميلة. أربكني شخصٌ ما بعدئذ عندما سألني: « كيف تعرف، يا سقراط، أن بعض الأشياء تكون جميلة وبعضها قبيحة، أخبرني ما هو الجمال؟ ». إحترت في إعطائه جواباً على هذا السؤال لعدم كفاءَتي، وهٰكذا تركت المجموعة، وكنت غاضباً من نفسي لائماً لها، وقطعت على نفسي وعداً بأنّي عندما أتقابل معكم أيّها الرجال الحكماء، فإنّني سأستمع لكم وأتعلّم منكم. وهذه هي اللحظة المناسبة التي سأسألك فيها أن تعلمني بشكل مناسب، ما هو الجمال بذاته، وأرجوك أن تجيبني على أسئلتي بالدقّة القصوى الموجودة لديك، وما هذا الذي ستشرحه إلاّ فضْلةً عن علمك الضخم الفسيح.

فضلةً حِقاً، يا سقراط، وليست بذات قيمة، أجابه هيبياس.

قال سقراط: أجبني على سؤالي إذن، وسأقوم بدور الناقد ولسوف أحصل على فهم أرسخ وأوطد للذي أتعلمه منك بهذه الطريقة. والآن قل لي، ما هو الجمال؟

أجابه هيبياس: أقول لك، يا سقراط، بأن العذراء الجميلة هي الجمال، وأن الذهب هو الجمال، والمال هو أن يكون الإنسان غنياً معافىً يكرمه اليونانيون، حتّى يصل إلى سنّ الشيخوخة، وأن يدفن آباءَه بنبل، وأن يُحمل هو نفسه إلى القبر تحفُّ به المراسم المهيبة التي يقيمها له أولاده.

لكنّني طلبت منك، يا هيبياس، أن تخبرني ما هو الجمال بذاته، ذلك الذي يعطي الصفة المميِّزة لكون كلّ شيء جميلاً، والذي يضاف إلى هذا الجمال، ولم أسألك ما هو الجميل؟

أجيبك، يا سقراط، أنّ الجمال هو المناسب، أعني ذلك الذي يجعل الأشياء تظهر جميلة.

لكن بعد أن ثبت بالبرهان الجليّ، أنّ كلّ التعريفات التي أعطيتها للجمال، يا هيبياس، قد نُقضت وسقطت منطقياً، فماذا يبقى؟ أقول لك، يا صديقي، يجب

أن لا نتوقّف عن المحاولة. لا يزال عندي نوعٌ من الأمل في أنَّ طبيعة الجمال سوف تكشف نفسها.

أؤكّد لك، يا سقراط، إذن، أنّ النافع الذي يمتلك القوة كي ينجز هدفه المحدَّد هو الجمال، وهذه القوة هي الأكثر جمالاً في الشؤون السياسيَّة بشكل عامّ، وفي داخل مدينة الإنسان الخاصة، وفي المحاكم القانونيَّة، والافتقار لهذه القوّة هو الأكثر قبحاً وخزياً.

لكن بعد أن أخفقت كلُّ التعريفات التي بحثناها لتعريف الجمال، تعتقد، يا هيبياس، أنّ الجمال هو السارّ الذي يأتي بواسطة حاسّتي البصر والسّمع؟ نعم، نعم، إنّه لكذلك، يا سقراط.

وهكذا، فإنّنا فشلنا بعد البحث الدقيق والمنطقيّ والمستفيض، يا هيبياس، ولم نحصل على الخير الذي توخيناه من حوارنا، وهو تعريف الجمال، لكنّني أعجب إعجاباً كبيراً بالمثل الذي يقول « كلّ جميلٍ صعبٌ ».